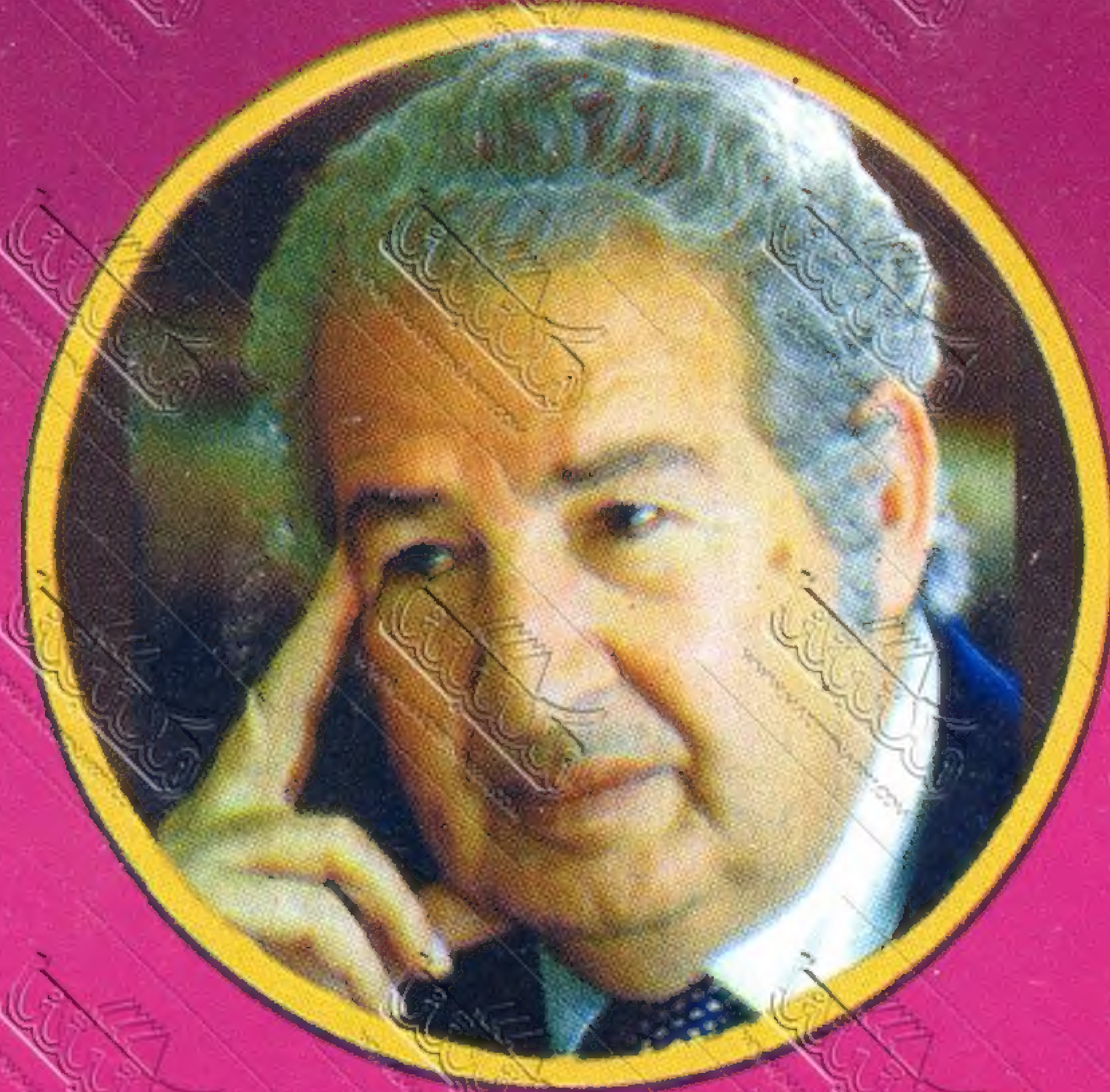
370



قطاع الثقافة

إحسان عبد القدوس



A.M.

السعادة ليس لها تاريخ

الأعمال الكاملة

إحسان عبد القدوس

■ ولد إحسان محمد عبد القدوس أحمد رضوان فى أول يناير عام ١٩١٩ بالعباسية بالقاهرة . والده المهندس الفنان الممثل والشاعر / محمد عبد القدوس . والدته السيدة فاطمة محيى الدين اليوسف ، لبنانية الأصل ، ممثلة مسرح وأسست دار روز اليوسف للصحافة والنشر عام ١٩٢٥ .

■ تخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٤٢ . عمل لمدة سنة كمحام ثم عمل بعدها كصحفى بمجلة روز اليوسف ثم عينته والدته رئيساً لتحرير المجلة ، وظل بها رئيساً للتحرير حتى عام ١٩٦٤ .

■ تولى رئاسة تحرير «أخبار اليوم» من عام ١٩٦٦ حتى ١٩٧٤ ورئيساً لمجلس إدارتها من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٧٤ .

■ عمل كاتباً بالأهرام من عام ١٩٧٤ حتى وفاته وكان قد عُيِّن رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة الأهرام خلال عامى ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ .

■ تعرض للاغتيال والسجن عدة مرات بسبب كتاباته السياسية وخصوصاً عن قضية الأسلحة الفاسدة التى استخدمت فى حرب فلسطين وكان لهذه الكتابات أثر كبير لتهيئة الرأى العام لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

■ كتب مئات الروايات والقصص القصيرة نشرت فى جرائد ومجلات مصرية وعربية وجمعت فى ٦٠ كتاباً وترجم العديد منها إلى أكثر من لغة أجنبية وتم تحويل عشرات منها إلى أعمال سينمائية وتليفزيونية ومسرحية وإذاعية .

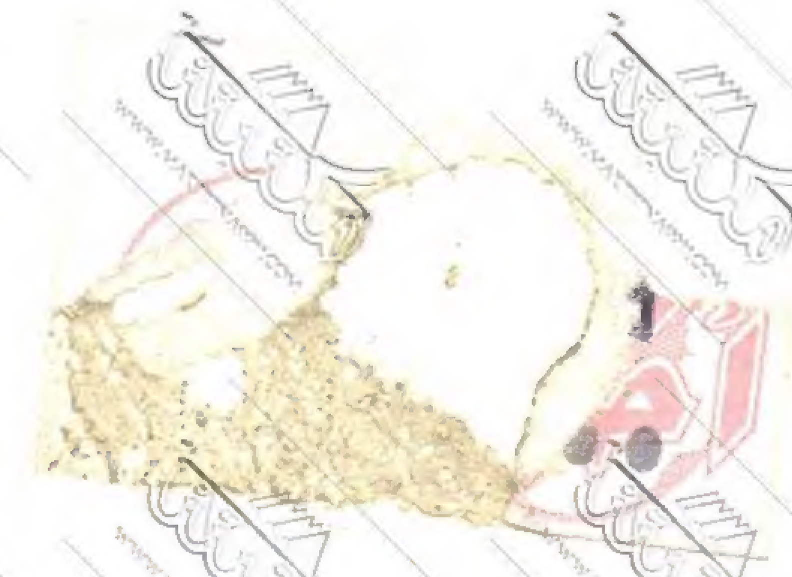
■ كان يؤمن بشدة بأن الحب والصدق وحرية الرأى هى أسس العلاقات الإنسانية .

■ أنعش الحركة الثقافية بدعوته لإنشاء المجلس الأعلى للفنون والآداب ومشاركته الإيجابية فى تأسيس نادى القصة وجمعية الأدباء .

■ حاز على العديد من الجوائز والأوسمة المصرية والأجنبية من جمعيات ومهرجانات سينمائية تقديراً لقصص أفلامه منها جائزة الدولة التقديرية فى الأداب بعد وفاته .

■ توفاه الله إلى رحمته فى ١١ يناير ١٩٩٠ .





من الأدب الساخر

القلب في ورطة بين ليلى وبطة

كتابنا القادم

ياسر قطامش





الدار المصرية اللبنانية

مجموعة قصص

السعادة ليس لها تاريخ

إحسان عبد القدوس

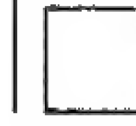


عندما أريد أن أستريح ، أهرب إلى القصص .. أكتبها أو أقرأها .. وهذه بعض القصص التى قرأتها ، ولخصتها .. وقد أبحت لنفسي خلال تلخيصها أن أحور فيها، وأن أضيف إليها من عندى .. وهذا التحوير والإضافة لا يعتبران اعتداء على القصة أو على كاتبها ، بل هو بمثابة إبداء الرأى فيها ..

إحسان



الجحيم ليس فيه مرآة



قصة قديمة لجان بول سارتر، اسمها «لاخروج» أو « لا مفر ».. قرأتها للمرة الثانية، ولعلها المرة الثالثة..

وسارتر يكتب كما يكتب توفيق الحكيم.. يسترسل فى حوار فلسفى شيق عميق، وقد يؤدى به استرساله فى الحوار إلى الخروج عن موضوع القصة.. ولكن لا يهم.. فأمتع ما يكتبه هو هذا الحوار المسترسل..

والفرق بين سارتر وتوفيق الحكيم، إن سارتر وضع لفلسفته اسماً.. أو عنواناً.. توفيق الحكيم لم يختر لفلسفته اسماً، ولم يضع لها عنواناً... وفرق آخر.. إن سارتر لا يخاف.. لا يخاف الناس، ولا الدين، ولا التقاليد.. وتوفيق الحكيم فى كل ما يكتبه، يخاف.. يخاف حتى من نفسه !

وقصة سارتر تدور وقائعها فى الجحيم ؟

الجحيم ليس فيه مرآة

ما هو الجحيم ؟

إن سارتر يقول إن الجحيم هو.. الناس الآخرون !!

ويتصور سارتر الجحيم مجرد غرفة واسعة تنتشر فيها قطع من أثاث ثقيل من طراز الإمبراطورية الثانية.. أو طراز لويس فيليب.. والحجرة ليس فيها نوافذ وليس فيها مرآة واحدة..

ويدخل « جارسن » أحد المحكوم عليهم بالجحيم يتبعه خادم الغرفة « فاليه دى شامير » وينظر حواليه ثم يسأل الخادم :

– أين أدوات التعذيب ؟

ويرد الخادم فى دهشة :

– ماذا تقصد يا سيدى..

ويقول جارسن :

– أقصد الجحيم.. والحمم والأسياخ المحمية فى النار.. هذه الأشياء التى كانوا يصفونها لنا قبل أن نأتى إلى هنا..

ويقول الخادم :

– إنى مندهش يا سيدى كيف تصدق هذا الكلام الذى يقوله ناس لم يأتوا إلى هنا أبدا..

ويقول جارسن :

– إذن ليس هنا أدوات تعذيب.. ولكن أين فرشاة أسنانى.. لقد أخذوا منى فرشاة أسنانى..

ويقول الخادم ساخرا :

– إنك لا تزال تحمل غبارا آدميا.. بالله عليك ماذا ستفعل بفرشاة أسنان هنا..

ويستمر الحوار.. ويكتشف جارسن بعض نواحى الحياة فى جـهنم.. يكتـشف أنه لن ينـام : ليس فى الجـحـيم نوم والنور مضـاء إلى الأبد.. وقد يشـعر بالنوم يزحف عليـه كالسـحاب، ويدغـدغه خلف أذنه، فـلا يكاد يرقـد على الأريكة - وليس فى الجحيم أسرَّةٌ - حتى يبتعد النوم عنه.. يبتعد أميالا وأميالا..

وينظر جارسن فى وجه الخادم فيكـتشف أن جفونه مشلولة.. أو ليس له جفون فيصرخ :

- إذاً فسأعيش هنا بلا جـفون.. هل تدرى ما هى الجفون ؟ إنها أشبه بأغلفـة تنسدل فوق أعيننا فى فترات متقطـعة، فيبدو كل شـىء ظلامـا، ونرتاح.. نرتاح من الضوء والحـركة.. إنك لا تعلم كم هى مريحة ومنشطة هذه الجـفون.. إنها تمنحنا الراحة آلاف المرات.. كل اهتـزازة لجـفنينا بمثـابة « انتـراكت » أو استراحة لنا..

ويكتـشف جـارسن أشيـاء أخـرى.. يكتـشف أنه ليس فى الجحيم كتب.. ولكنه يجد سكينا مما يستـعمل فى فتح صفحات الكتب.. ويكتـشف أن باب الحـجـرة سـيـغلق عليـه إلى الأبد.. وبجانب الباب جرس.. ولكن الجرس معطل دائما، إنه لا يرن إلا إذا سـمح له عضـو مـجلس الإدارة المنتدب للجـحـيم بالرنين.. و..و.. و..

ويخرج الخادم ويعود بعد قليل ومعه الآنسة « إينيه »..

ويقول الخادم :

- هذه غرفتك يا سيدتى !

وتنظر « إينيه » فى وجه جارسن، قائلة :

– أين فلورنس.. آه لقد فهمت الآن.. أنكم تريدون تعذيبى بالتفريق بينى صديقتى.. ولكن اطمئن فلن أتعذب من أجلها !

ويقول جارسن :

– من تظنيننى يا آنسة ؟

وتقول إينيه :

– الجلاد طبعا.. أنت المكلف بتعذيبى !

ويقول جارسن :

– أنا الجلاد !! كيف تعرفين الجلاد عندما ترينه ؟

وتقول إينيه :

– أعرف من الخوف الذى يبدو على وجهه !

ويقول جارسن ساخرا :

– الخوف ؟! مم يخاف الجلاد ؟ من ضحاياه !!

وترد إينيه :

– اسخر كما شئت.. ولكنى أعرف ما أقول.. لقد كنت أنظر إلى وجهى فى المرآة، فأرى الخوف !!

وتبدأ المشاحنات من أول لحظة بين جارسن وإينيه.. إن إينيه تكره الرجال.. كل الرجال.. وتحقد عليهم وتقرف منهم.. وتحب النساء.. إنها مصابة بالشذوذ الجنسى.. أو بحب الجنس.. كان لها على الأرض عشيقة !

ويفتح الباب مرة ثالثة.. وتدخل « استل » امرأة جميلة عاشت فى الطبقة الأرستقراطية.. ويقدمها الخادم، ثم ينسحب قائلا :

- هل تريدين شيئا آخر يا سيدتى ؟

وتقول استل فى لهجة متكبرة :

- لا.. سأدق الجرس عندما أريدك !

ويعرف الثلاثة أنه حكم عليهم بالبقاء معا فى غرفة واحدة إلى الأبد.. رجل وامـرأة تحب النساء، وامـرأة أخرى تحب الرجـال.. ويقـدم كل منهم نفسـه إلى الآخـر.. إن إينيه مـاتت منذ أسبـوع مخـتنقة بالجاز.. واستل مـاتت هذا الصباح بالذبحـة الصدرية.. وجارسن مات منذ شهر وفى صدره اثنتا عشرة طلقة..

وتبدو الحـياة بينهم مـسـتـحيلة.. إن الثـلاثة مختـلفون فى الأمزجـة والطبـاع والتفكيـر.. لا شىء يجمـعهم.. وإينيـه تريد استل لنفـسـها.. واسـتل تريد جارسن.. وجارسن لا يعـرف ما يريد !

ويعرف الثلاثة أنهم اخـتيروا بالقصد ليوجـدوا معا.. ولكن لماذا اختيروا هم الثلاثة بالذات.. لماذا ؟

وتقول إينيه :

- لو اسـتطاع كل منا أن يقـول لماذا هو هنا، فـربما وجـدنا السبـب الذى جمعـونا من أجله معـا.. (وتلتفت إلـى استل).. استل.. ماذا فعلت فى الدنيـا.. لماذا أرسلوك إلى هنا إلى الجحيم ؟!

وتروى استل قصة كاذبة وتقول :

- لا شك أننى جئت إلى هنا عن طريق الخطـأ أو السـهو.. إن الأمـور هنـا تتم كـمـا تتم علـى الأرض، عن طريق صـغـار

الموظفين.. وهؤلاء الموظفون يخطئون كثيرا.. وكما أخطأوا وأرسلونى إلى هنا، فلا بد أنهم أخطأوا بالنسبة لك أيضا !

ويروى جارسن قصة كاذبة عن نفسه تصوره بطلا..

وتصرخ إينيه :

– لماذا نحاول أن نلقى الغبار عن وجوه بعضنا.. إننا مجرمون قتلة.. نحن الثلاثة.. إننا فى الجحيم.. وهم لا يرسلون أحدا إلى الجحيم عن طريق الخطأ.. يجب أن نعترف بالأسباب التى تديننا ويشتد الشجار بينهم وتقول إينيه :

– الآن عرفت ما هو الجحيم. ليس هنا تعذيب جسدى.. ليس بيننا جلاد يتولى تعذيبنا.. ربما لأنهم هنا يعانون من قلة الأيدى العاملة، فاضطروا إلى وضع أسلوب جديد فى التعذيب.. هذا الأسلوب يقضى بأن يتولى كل منا – نحن الثلاثة – تعذيب الآخر.. إن كلا منا هو جلاد الآخرين !

ويقول جارسن :

– إننى لا أريد أن أعذب أحدا.. خير لنا أن يجلس كل منا فى مكانه ويصمت ولا ينظر إلى الآخر، وبذلك نتحاشى تعذيب بعضنا البعض..

ويتفق الثلاثة على السكوت.. وتبدأ إينيه تغنى أغنية شاذة وتبحث استل عن مرآتها فى حقيبتها فلا تجدها، فتسأل جارسن :

– هل معك مرآة.. ولو مرآة جيب صغيرة ؟

ولا يجيب جارسن.. يظل صامتا لا ينظر إليها..

وترد عليها إينيه :

الجحيم ليس فيه مرآة

– لقد أخذوا مرآتى أنا أيضا !

وتميل استل كأنها ستسقط مغشيا عليها، ثم تقول :

– إنه عذاب.. إنى عندما لا أرى نفسى فى مرآة أحس كأنى لست موجودة.. وأقرص نفسى لأحس بوجودى، فلا يجدينى القرص كثيرا..

وترد إينيه :

– إنى أستطيع أن أرى نفسى دائما بعقلى..

وتقول استل :

– ولكن ما يراه العقل يحيطه دائما الغموض.. كأنه يراه فى حلم.. إن عندى فى البيت ست قطع كبيرة من المرايا.. إنى أستطيع أن أراها الآن، ولكنها لا ترانى.. إن خيالى لا ينعكس عليها.. إنى لا أستطيع أن أوجد بلا مرايا.. لا أستطيع.. إنى أتعذب..

وتقول لها إينيه وفى عينيها اشتهاء :

– تعالى يا عزيزتى.. تعالى هنا بجانبى.. وسأحاول أن أكون مرآتك !

وتنظر استل إلى جارسن قائلة :

– ولكن..

وتقاطعها إينيه..

– دعك منه..

وتقول استل..

– ولكننا سنعذب أحدنا الآخر..

– لا تصدقى.. هل يبدو علىّ أنى أريد أن أعذبك !

– ربما..

– ربما تعذبت منك أنا الأخرى.. ولكننى سأتعذب على أية حال، وخير لى أن تعذبنى يداك الجميلتان.. تعالى هنا.. اجلسى.. اقتربى منى.. اقتربى أيضا.. والآن انظرى فى عينى، ماذا ترين ؟

– إنى أرى نفسى.. إنى فى عينيك.. ولكنى صغيرة جدا بحيث لا أستطيع أن أرى نفسى جيدا..

– ولكنى أراك كلك.. والآن، اسألينى وسأجيبك كأنى مرآة صادقة !

وتنظر استل إلى جارسن كأنها تستغيث به، وتقول إينيه :

– دعك منه.. إننا الآن إحدانا للأخرى. وحدنا !

وتسألها استل :

– هل شفتاى مصبوغتان جيدا..

– لا يا جميلة.. إنهما باهتتان قليلا..

– هذا ما كنت أعتقده..

ثم تخرج أصبع أحمر الشفاه وتمر به على شفتيها.. بينما إينيه ترشدها.. انحرفى قليلا إلى أسفل.. اضغطى قليلا هنا.. إنك جميلة الآن.. إن شفتيك فيهما قسوة لذيذة..

وتقول استل :

– ولكن.. كيف أثق فى ذوقك !

– إن ذوقى هو ذوقك.. لأنى أحبك.. أريدك. انظرى إلىّ فى عينى، ألست أرفق من مرآتك..

– إنك تخيفيننى.. ولا أخاف مرآتى.. لقد ألفت مرآتى..

– ولماذا لا تألفيننى أنا أيضا !

وتنظر إليها استل فى رعدة وخوف مثير، وتقول لها إينيه : سنكون أصدقاء..

– إنى لا أصادق النساء

– إنك مضطرة لصداقتى.. إننى مرآتك.. لا مفر لك منى..وأنا أستطيع أن أكذب عليك، أن أقول لك أن فى رقبتك دملا.. تصورى لو أن مرآتك كذبت عليك.. أو تصورى أنى خبأت عينى حتى لا ترى نفسك فيهما.. لو حدث ذاك فإن جمالك يصبح هباء فى صحراء.. ولكنى لن أغمض عينى، ولن أكذب عليك، فقط كونى لطيفة معى !

– هل حقا أثيرك.. إلى هذا الحد ؟

– إلى هذا الحد !

وتلفتت استل إلى جارسن، قائلة :

– إنى أتمنى أن أثيره هو..

وتقول إينيه غاضبة :

– طبعا.. لأنه رجل.. (ثم تلتفت إلى جارسن) لقد كسبتها.. انظر إليها.. لا تدعى أنك تتجاهلنا، لقد كنت تتابع كل كلمة قيلت.. ثم لا تطلب منا السكوت.. إنك مهما تسكت فإننا نحس بوجودك.. وأحس بدقات أفكارك فى رأسك.. وقد تستطيع أن تلغى لسانك، ولكنك لا تستطيع أن تلغى وجودك.. إن وجودك هو الذى يضايقنى.. فلا جدوى من السكوت.. ولن أتركك

تسكت.. إن من حقى أن اختار جحيمى، وقد اخترت أن أواجهك وأن أعلنها حربا عليك.

وتبدأ المشاحنات من جديد.. ويبدأ جارسن فى مغازلة استل.. فتشتد المشاحنات.. وكل منهم يتعذب بالآخر.. ثم يقررون أن يصارحوا بعضهم البعض بالأسباب التى أدت بهم إلى الجحيم لعلهم يجدون فيها شيئا يجمعهم..

ويبدأ جارسن قصته :

كان يعذب زوجته.. كان يعود إليها كل ليلة وفى ثيابه رائحة الخمر والنساء.. وكانت زوجة لا تتكلم.. إنها من هذا الصنف من النساء الذى خلق ليكون شهيدا.. ليكون ضحية صامتة.. وقد أتى يوما بامرأة إلى البيت، وكان ينام معها وزوجته فى الغرفة الثانية.. ولم تكن تتكلم.. كانت تستيقظ قبلهما وتعد لهما الإفطار..

ولكن زوجته ليست أهم شىء.. لقد هرب من الجيش عندما أعلنت الحرب.. وحاول أن يتخطى الحدود إلى المكسيك، ولكنهم قبضوا عليه، وحكموا عليه بالإعدام رميا بالرصاص.. وهو يحاول أن يقنع نفسه بأنه ليس جبانا.. إنما هو من أنصار السلام.. إنه لم يهرب، ولكنه رفض أن يحارب لأنه لا يؤمن بالحرب..

وروت إينيه قصتها... لقد كانت تقيم مع ابن عمها، وأحبت زوجته فلورنس.. كانت الزوجة تترك فراش الزوج وتنام معها طول الليل.. كل ليلة.. ولم يستطع الزوج أن يفعل شيئا.. رضخ للأمر الواقع.. ولكن إينيه لم تعد تحتمل ابن

عمها، كان منظره يثير أعصابها.. ولم تعد تطيق صوت قرقعته وهو يشرب الماء.. فأخذت زوجته وهربت بها وخرج الزوج وألقى بنفسه تحت عجلات القطار.. وأحست فلورنس – الزوجة – بتأنيب الضمير، فقامت ذات ليلة وهى راقدة بجانب إينيه، وفتحت صنبور الغاز، ثم عادت ونامت بجانبها، واحتضنتها إلى صدرها.. وماتت الاثنتان.

وبعد إلحاح روت استل قصتها.. كانت زوجة رجل غنى.. وأحبت شابا فقيرا، واتخذته عشيقا.. ثم حملت منه، فعرض عليها أن تطلق زوجها ليتزوجها، ولكنها رفضت وسافرت معه إلى سويسرا، وهناك وضعت مولودها.. مولودا جميلا نضرا.. وحملته بين يديها ووقفت به فى شرفة الفندق وربطته إلى حجر، ثم ألقت به فى البحيرة.. وانتحر عشيقها.. فاتخذت عشيقا آخر..

وانتهوا من رواية قصصهم، ولكنهم لم يجدوا فيها شيئا يقربهم من بعض إلا أنهم الثلاثة مجرمون.. وبدأت المشاحنات من جديد.. وخلال هذه المشاحنات يرى كل منهم آثاره فى الدنيا.. إن جارسن يرى أصدقاءه مجتمعين وهم يتحدثون عنه كجبان.. جبان.. جبان.. لقد سجل اسمه فى التاريخ على أنه جبان.. وإينيه ترى فى غرفتها رجلا ينام مع امرأة فوق فراشها.. وهى تكره الرجال، خصوصا الرجال الذين ينامون مع النساء.. واستل ترى عشيقها الجديد يغازل إحدى صديقاتها، وتسمعها تطلعه على قصتها..

ويحـاول جارسن أن يوقف هذه المشـاحنات.. فيـتنازل عن استل لإينيه.. ولكن استل لا تريـد إينيه.. إنها تريد رجلا.. تريد جارسن.

ويقول لها جارسن :

– ولكنى لن أحبك.. إنى أعرفك أكـثر مما يجب، فلا أستطيع أن أحبك..

– هل تريدنى.

– نعم..

– هذا يكفينى..

وإينيه تسمع هذا الكلام وتصرخ.. وتسب.. وتكاد تجن..

ويأخذ جارسن اسـتل بين ذراعيه.. والآن، اعطنى شـفتيك.. شفتيك.. بسرعة

وتصرخ إينيه :

– إنكما لستما وحدكما.. إنى هنا..

وتقول استل فى احتقار :

– لا يهم.. لقـد تعـودت أن أخلع مـلابسـى أمام خـادمـتى..

وتصرخ إينيه فى وجه جارسن :

– لقد وعدت أن تـتركها لى.. إنى لا أطلب أكـثر من وعدك.. لقد وعدتنى !

ولا يرد عليهـا جارسن، ويميل على شفتـى استل.. وقبل أن يلمسها يتوقف، فتصيح استل وهى منفعلة :

– قبلنى.. لا تهتم بها.. إنها لا شىء !

ويقول جارسن وهو ساهم :

– ليست هى.. إنهم يتحدثون عنى على الأرض.. إنهم يقولون إنى جبان.. جبان !

ثم ينظر إلى استل :

– إنى محتاج إلى ثقتك ؟

وتقول استل فى غيظ :

– ماذا جرى لك.. إنى أمنحك شفتى، وذراعى، وجسدى كله.. وأنت تريد ثقتى.. ماذا تريد بثقتى.. إنك هنا تحت عينى دائما ليس هناك مجال لموضوع الثقة..

قال وهو ساهم :

– لقد أعدمونى رميا بالرصاص..

قالت :

– أعلم.. لأنك رفضت الحرب !

قال :

– إنى لم أرفض.. إنى.. إنى.. لا أدرى.. عندما حكموا علىّ بالإعدام، قلت لنفسى إنى لو واجهت الموت قويا، فمعنى هذا أنى لست جبانا.. ولكنى واجهته ضعيفا لا أستطيع أن أقف على قدمى.. وربما كان ذلك مجرد انهيار جسدى.. إنى لست خجلا من موقفى فى مواجهة الموت.. ولكن المهم إنى لا أستطيع حتى الآن أن أجيب نفسى : هل أنا جبان.. أم لا ؟!

قالت :

– ماذا تريدنى أن أفعل لك ؟

الجحيم ليس فيه مرآة

قال :

– أن تقنعيني بأني لست جبانا..

قالت إينيه :

– إنه يريد أن تقنعيه بأنه هرب كالأسد !

قالت استل :

– لا يهمني إن كنت بطلا أم كنت جبانا.. مادمت تستطيع أن تقبلني جيدا..

قال :

– إنهم يقولون عني إني جبان. كلهم يقولون إني جبان.. لو وجدت واحدا يقول لي إني لست جبانا.. إني بطل وشهم وجريء.. لو وجدت هذا الواحد لاستطعت به أن أنسى الباقين.. إني أريدك أن تكوني هذا الواحد.. أن تنقذيني..

قالت :

– يا طفلي العزيز.. هل كان يمكن أن أحبك لو كنت جبانا.. إنك رجل كامل.. ليس لك يدا جبان، ولا ذقن جبان، ولا شعر جبان، ولا فم جبان.. وأنا أحب يديك.. وذقنك.. وشعرك.. وفمك..

وصرخت إينيه :

– لا تصدقها.. لا تكن مغفلا وتصدقها.. إنها تريد رجلا.. أي رجل.. أن تشم رائحة رجل، وتحس بذراعي رجل.. إنها تستطيع أن تقنعك بأنك ربنا الأعلى ما دمت رجلا..

وبصقت استل في وجهها..

ونظر جارسن إلى استل نظرة خائفة :

– هل هذا صحيح.. هل هذا صحيح ؟!

وقالت استل وقد فقدت أعصابها :

– ماذا يهم إن كنت جبانا أو لست جبانا.. إنى أريد رجلا حتى لو كان أجبن الجبناء..

وصرخ جارسن :

– إنى أحتقركما أنتما الاثنتان.. ألعنكما !

وهرع إلى الباب.. وحاول أن يفتحه.. ثم أخذ يدق عليه بيديه.. أريد أن أخرج من هنا.. أريد أن أخرج من هنا.. إن أى مكان أرحم من هنا.. إن النار والحمم والأسياخ المحمية أرحم من هنا.

وتحاول استل أن تمنعه :

– لا تتركنى أرجوك.. لا تتركنى معها.. انظر إليها.. لقد بدأت تشهر أظافرها لتغرزها فى لحمى..

وتقول إينيه :

– دعيه.. دعيه يذهب وسنبقى معا يا حبيبتى.

وفجأة يفتح الباب على مصراعيه، وتهب منه ريح ساخنة.. ويهم جارسن بالخروج ولكنه يتردد.. ثم يجبن.. وإينيه تصيح به.. اخرج.. اخرج.

وتصيح استل : عندى فكرة.. تعال ساعدنى لنطرد إينيه من هنا.. هى التى تخرج.. ونبقى أنا وأنت..

وتحاول أن تدفع إينيه نحو الباب.. بينما إينيه تحاول أن تتخلص منها وهى تتوسل إليها.. لا.. لا أريد أن أخرج من هنا.. إن فى الخارج عذابا كبيرا.

ويصيح جارسن فجأة :

- لا تطرديها.. إنى هنا من أجلها.. من أجلها هى !

وتقول إينيه فى دهشة :

- من أجلى أنا ؟!

ويغلق الباب.. ويعود إلى إينيه، قائلا :

- إنك على الأقل تعرفين ما هو الجبان.. تعرفين ضعفه واحتقاره لنفسه، وخوفه.. تعرفين اللحظات التى يطل خلالها الإنسان فى الأعماق السرية من قلبه ويرى أشياء تجعله يكاد يغمى عليه من الخوف.. وعندما أقول إننى جبان، فأنت تعرفين ماذا أعنى.

- نعم أعرف !

- إنه أنت التى يجب أن أقنعك بأنى لست جبانا !

- إنك ستحتاج إلى وقت طويل لتقنعنى.. إنى امرأة عنيدة..

- إنى سأعطيك كل وقتى.. إن أمامنا الأبد كله.

ووضع يديه على كتفيها وقال برفق :

- إن كل إنسان له هدف فى الحياة.. وأنا لم أحاول يوما أن أكون غنيا، ولم أسع إلى الحب، ولكنى كنت دائما أريد أن أكون شجاعا.. كنت أتصرف كالشجعان.. وكنت أقدم على الخطر.. كنت أقيس كل الحياة برجولتى وشجاعتى.. فهل يمكن أن يكون مثل هذا الرجل جبانا، وهل يمكن أن نحكم على الرجل بتصرف واحد من تصرفاته !

قالت ساخرة :

- لقد كنت طول حياتك تحلم بالبطولة والرجولة.. وكنت تتصرف كأنك تعيش فى هذا الحلم.. ولكنك عندما أفقت

ووجدت الحرب أمامك، أخذت القطار وهربت إلى المكسيك، كأى جبان !

قال :

– إنى لم أكن أحلم.. أن الحياة إرادة !

قالت :

– اثبت أنه لم يكن حلما.. اثبت أنه كانت لك إرادة.. أن تصرفاتك هى التى تحكم عليك وقد تصرفت كجبان.

قال :

– إن حياتى كانت قصيرة فلم يكن لدى سنوات كافية لأحقق إرادتى..

قالت :

– إن الحياة لا تكون أبدا قصيرة ولا طويلة.. إنها دائما.. حياتك !

قال غاضبا :

– إنك امرأة مسمومة !

وقالت استل :

انتقم منها.. تعال وقبلنى انتقاما منها..

– نعم، فسأنتقم منها.. سأقبلك !

ويقترب منها، ويحتضنها، وتئن إينيه، ثم تقول صارخة كالمجنونة :

– دعونا نرى الجبان عندما يقبل القاتلة.. هل يستطيع أن يقبلها.. من يراهن.. للجبان والقاتلة..

وتقول استل :

– لا تنتبه لها.. تعال انتقم منها !

ويقول جارسن :

– هل سيأتى الليل ؟

تقول إينيه :

– أبدا..

– وهل سترينني دائما..

– دائما..

ويترك جارسن استل.. ويبتعد عنها وهو يقول ناظرا إلى المرأتين :

– لقد عرفت الآن ما هو الجحيم.. إنه الناس الآخرون !

وتقول استل :

– يا حبيبى لا تتركنى !

فيرد عليها :

– إنها تقف بيننا.. إنى لا أستطيع أن أقبلك وهى تراقبنا !

وتصرخ استل :

– إذن سأزيحها من بيننا..

ثم تجرى وتمسك بالسكين المخصص لفتح الكتب، ثم تهجم على إينيه منقضة.. وتطعنها.. طعنات كثيرة !

وتضحك إينيه قائلة :

– ماذا تفعلين أيتها المجنونة الصغيرة.. إنك تنسين أنى ميتة !!

ويعيش الثلاثة معا.. فى الجحيم.. إلى الأبد !!

٢

الصديق .. والزوجة!!

إن هناك عداء طبيعيا بين كل زوجة، وبين صديق زوجها القديم الذى صادقه أيام عزوبته.. فالزوجة تعتقد أن الصديق يحاول دائما أن يجر زوجها إلى الحياة التى كان يحياها قبل الزواج، والصديق يعتقد أن الزوجة قد أخذت صديقه منه وحرمته من صداقته..

وكلاهما يغار من الآخر : الزوجة تغار من همسات الصديق فى أذن زوجها والضحك والنكت التى يتبادلانها، ومن معرفة هذا الصديق لأسرار زوجها ومغامراته قبل الزواج.. أنها تحس أن هذا الصديق لا يمكن أن يحترمها لأنه يعرف إنها ليست المرأة الوحيدة فى حياة الزوج.. أما الصديق فهو يغار من ثقة الزوج فى زوجته، ومن الأسرار التى لا يطلعه عليها، ومن حياتهما الخاصة التى لا يمكن أن يشاركهما فيها..

الصديق .. والزوجة !!

وقد قرأت هذا الأسبوع مسرحية للكاتب الإنجليزى « سمرست موم » تصور العداء بين الزوجة وصديق الزوج :

ترتفع الستار عن مشهد الزوجة وهى تطلق النار على رجل.. ويسقط الرجل، وتقف الزوجة فوق رأسه، والمسدس فى يدها.. ثم تطلق مرة ثانية.. وثالثة.. إلى أن تفرغ الرصاص كله فى رأس القتيل..

وتهبط الستار..

وترتفع الستار مرة أخرى وقد انقضى ثلاث ساعات على الحادث.. وجاء مندوب البوليس وأزاح الجثة، وجاء الزوج من البلد الذى كان متغيبا فيه، ومعه صديقه الحميم القديم.. صديقه من أيام العزوبة.. وتبدأ الزوجة تروى تفاصيل الحادث.. إن القتيل صديق من أصدقاء العائلة، وقد اقتحم عليها البيت فى غياب زوجها، وكان سكران، وحاول أن يعتدى عليها، فقتلته دفاعا عن نفسها وشرفها.. وكانت تروى القصة بأعصاب قوية وأسلوب معبر، فيصدقها الزوج، ويصدقها البوليس.. الوحيد الذى لا يصدقها هو صديق الزوج، وهو يسألها :

– ولكن كيف استطعت أن تطلقى عليه ست رصاصات.. لماذا.. ألم تكف رصاصة واحدة ؟!

وترد الزوجة – بأعصاب هادئة – إنها لم تكن تدرى، كانت شبه مجنونة.. أن كل ما حدث حدث تلقائيا..

وتقدم الزوجة إلى المحكمة.. ويعتقد الجميع – ماعدا

الصديق .. والزوجة !!

الصديق - أن محاكمتها لن تكون سوى استكمال للإجراءات القانونية، وأنها ستبرأ حتما.

وقبل المحاكمة بيوم واحد يعثر الصديق على خطاب بخط الزوجة إلى القتيل.. خطاب يثبت أنها كانت عشيقة الرجل الذى قتلته.. وهذا الخطاب يملكه خادم القتيل، ولا يريد أن يتنازل عنه إلا بثمن.. عشرة آلاف دولار.. وهو يعلم أن هذا الخطاب يكفى لإدانة الزوجة وتعليقها فى المشنقة..

ويذهب الصديق إلى الزوجة، ويواجهها بهذا الخطاب وتحاول أن تنكر، ثم لا تستطيع.. فتعترف أن القتيل كان عشيقها منذ سنوات، ولقد قتلته لأنه هجرها إلى امرأة أخرى..

ويقول الصديق :

- إن هذا الخطاب سيرسلك إلى المشنقة !

وتقول الزوجة :

- لا يهم ما يحدث لى.. ولكن هذا الخطاب سيقتل زوجى.. إنك تعلم كم يحبنى وكم يثق بى.. إنه لن يتحمل اكتشاف خيانتى له !

ويقع الصديق فى حيرة بين كراهيته للزوجة، وحبه للزوج، ثم يقول لها :

- سأنقذك..

وترد عليه :

- إنك لن تنقذنى، ولكنك ستنقذ صديقك زوجى !

الصديق .. والزوجة !!

ويذهب الصديق ويشترى الخطاب من الخادم، على أن يسترد ثمنه فى المستقبل من الزوج، بأى حجة يختلقها له..

وتتم المحاكمة.. وتبرأ الزوجة !

وتتوالى الحوادث بسرعة، ثم تنتهى بأن يكتشف الزوج الخطاب، وتضطر الزوجة أن تعترف له.. ويصفح الزوج.. إنه يحبها إلى حد لا يستطيع الاستغناء عنها.. وهى تعده بأن تعيش له مخلصة، وأن تجعل منه أسعد زوج فى العالم..

ويختلى الصديق بالزوجة، ويقول لها، والكراهية تنضح على كلامه :

– إنك امرأة قوية ذكية، وقد استعملت قوتك وذكاءك حتى الآن فى الشر.. لعلك الآن تستطيعين أن تستعمليهما فى الخير.. خير زوجك !

وتقول :

– ثق أنى سأهب نفسى لإسعاده !

فيقول :

– ألا تحبينه ؟

وترد :

– لا.. للأسف.. إنه طيب.. ولكنى لم أستطع أن أحبه !

فيقول :

هذا هو عقابك.. أن تضطرى لإسعاد رجل لا تحبينه !

فتقول :

– لا.. إن عقابى هو أنى قتلت الرجل الذى لازلت أحبه !!

٣

علم النفس

إنى أقرأ فى كتاب اسمه : « خمسون دقيقة فى الساعة » وهو يضم مذكرات لأحد الأطباء النفسانيين اسمه الدكتور « روبرت ليندنر ».. والمذكرات مقصورة على شرح بعض الحالات النفسية التى عالجها الطبيب..

من بين هذه الحالات، حالة فتاة اسمها لورا..

ولورا فتاة عادية.. ليست جميلة، ولكنها ليست قبيحة وهى غالبا تبدو هادئة، ليس فيها من مظاهر الشذوذ إلا أنها لا تستطيع أن تسمح لرجل بأن يقربها.. إنها تلهو مع الرجال، وتصل فى لهوها إلى حد بعيد.. ولكنها ترفض أن تمنح جسدها كاملا لواحد منهم.. وهى تحس بالقرف والاشمئزاز، وأحيانا « بالخوف » لمجرد تصور نفسها فى أحضان رجل فوق الفراش..

وفجأة وبلا مقدمات.. تنتاب لورا حالة فى منتهى الشذوذ.. إنها تشعر بالجوع.. جوع عنيف.. كأن فراغا بدأ يملأ أحشاءها.. فتبدأ فى الأكل.. تأكل كثيرا.. وتأكل أى شىء.. دون أن تتذوق ما تأكله.. إنما مجرد أشياء تحاول أن تملأ بها الفراغ الذى تحس به.. ولكن الفراغ يتسع.. وكلما أكلت أكثر ازداد الفراغ اتساعا.. كأن بينها وبين هذا الفراغ سباقا.. وتظل تأكل.. وتأكل.. وتلقى فى جوفها بأى شىء يصل إلى يديها.. وهى في خلال ذلك تغيب عن الوعى.. تصبح مجنونة لا تدرى ما تفعله.. ويتطور مظهرها الخارجى فينتفخ وجهها حتى يصبح قبيحا كوجه الخنزير، وينتفخ جسدها.. ثم تقع مغشيا عليها.. وتفيق لتبقى مريضة فى الفراش أسبوعين أو ثلاثة.. ثم تعود هادئة كما كانت ليس فيها من شذوذ إلا أنها لا تستطيع أن تمنح نفسها لرجل..

هذه هى الحالة التى عرضت على الطبيب، وظل يعالجها مدى عامين، كان خلالها يجتمع بلورا مرتين فى الأسبوع.. وفى كل مرة ترقد لورا على الأريكة المخصصة للمرضى، ويجلس الطبيب على مقعد خلف رأسها.. ويتركها تتكلم لمدة ساعة.. تتكلم فى أى شىء.. ويسجل كل كلمة ليدرسها فيما بعد..

ويقول الطبيب : إن لورا كانت فى « حالة » متعبة فى بداية الأمر.. فقد كانت تريد منه أن يشفق عليها وأن يرثى لحالها، ولكنه كان يحرمها من الشفقة والرثاء حتى يرى جروح

نفسيتها على حقيقتها، فكانت تثور عليه، وتتمرد، وتهدد بالانقطاع عن العلاج.. ومعظم المرضى النفسانيين يذهبون إلى الطبيب بحثا عن ساعة راحة، لا عن العلاج الأساسي.. وكانت لورا أيضا تكذب كثيرا، وتخترع حوادث مفتعلة تقولها له حتى تثير اهتمامه.. ومعظم المرضى النفسانيين يعتقدون أن الحقيقة وحدها لا تكفى لإثارة اهتمام الطبيب فيكذبون..

واستطاع الطبيب فى الشهور الأولى من العلاج أن يعرف تاريخ حياة لورا..

إنها من أسرة فقيرة.. أمها مشلولة تقضى عمرها فوق مقعد ذى عجلات.. وأبوها - واسمه « مايك » - رجل كسول يقضى عمره فى ملاحقة النساء، وفى الحانات.. وكانت تحبه.. تحب أباها بجنون.. وتعذره فى كل تصرفاته.. إن من حقه أن يغيب عن البيت أياما، فليس فى البيت إلا الهم وخوتة الدماغ.. ومن حقه أن يلاحق النساء، فأمها المشلولة لا يمكن أن تعتبر امرأة تملأ حياة رجل.. ومن حقه أن يسكر.. وكانت فى الوقت نفسه تكره أمها.. تكرهها لأنها دائما تتشاجر مع أبيها، وتنكد عليه حياته..

وفى يوم جلست لورا تسمع أمها وهى تتشاجر مع أبيها.. وهدد الأب بأن يخرج من البيت ولا يعود أبدا، إذا لم تكف عن الشجار.. ولم تكف أمها، فخرج الأب ولم يعد..واعتقدت لورا أن أمها جنت عليها وطردت من حياتها الإنسان الوحيد الذى

تحبه.. وأصبحت تدعى بعد ذلـك أمام صديقاتها أن أباها مات، فى حين أنها كانت تبحث عنه كل دقيقة من عمرها..

هذا هو ملخص طفولة لورا كـما روته للطبيب فى تفـاصيل طويلة، وجلسات متعددة..

وجـاءت لورا يوما إلى الطبـيب وقالـت له إنها حلمت حلمـا عجيبا.. حلمت أنها كـانت مع صديق شاب من أصدقائها.. وأنه أخذها إلى بيته، ونامت معه فى الفـراش،، لكنه ما كاد يحتويها بين ذراعيه حتى اقـترب منها شبح أسود مخيف فـقامت مذعورة.. وأخذت تجرى، والشبح يجـرى وراءها.. وصرخت.. وأفاقت من نومها على صوت صرختها..

وتعلق الطبيب بهذا الحلم، وسألها :

– هل تستطيعين أن تصفى لى هذا الشبح ؟

وقالت لورا المسكينة :

– لا.. لا أذكر شكله !

قال الطبيب :

– حاولى أن تـتذكرى.. هل كـان الشبح مـثلا يجلـس فوق مقعد ذى عجلات !!

وسكتت لورا قليلا وهى تحاول أن تتذكر، ثم صاحت :

– نعم.. كان الشـبح يجلس فوق مـقعد مـتحـرك.. إنه شبح أمى !

وابتـسم الطبيب، فـقد اسـتطاع أن يحل العقـدة الأولى من

نفسية مـريضته.. العقدة التى تمنعهـا من أن تهب جسدها لرجل.. وبدأ يشرح لها هذه العقدة.

إنها فى طفولتها كانت تستمع إلى أمها وأبيها عندما يختليان فى حجرة النوم.. ولأنها تعلم أنهما دائما يتشاجران، كانت تفسر كل مـا تسـمـعـه من وراء باب حـجرة النـوم على أنه نوع من الشجار.. ثم فوجئت يومـا بأمها تقع مريضة بالشلل، وتقع على مقعد لا تسـتطيع أن تقوم من عليه، فاعتقـدت أن ما يحدث بين الرجل والمرأة فى حـــجـرة النوم يؤدى إلى الـشلل.. وظل هذا الاعتقاد راسبا فى عقلها الباطن، وكبرت به، وأصبحت لا تطيق أن تمنح نفسها لرجل خوفا من أن تشل كأمها..

واســتراحت لورا لهـذا التفـسـير.. وحلت عـقدتهـا فعـلا.. وخرجت من عند الطبيـب ومنحت نفسها لصديقـها، بلا خوف ولا اشمئزاز، بل إنها أحست بمتعة كبيرة..

ولكنهـا عادت إلى الطبـيب بعـد يومين، وهى ثائرة.. أسـوأ حالا من ذى قبل.. فقد اكتشـفت عندما تذكرت أمها أنها أساءت إليهـا إلى حد كبـير.. كانت تعـذبها فى مـرضـها.. كـانت تنتقم لأبيها منها.. ونسيت أن أمها قبل أن تمرض كانت شابة، وكانت جميلة، وأنهـا وهبت نفسـها لتربيـة أولادها، وحملت العبء كله عن الأب الكسول السكير.. نسيت كل ذلك، ولكنها تذكرته الآن، وهى تحس إحساسا عميقا بالجرم..

وبدأت لورا تجلس جلسـات طويلة مع الطبيب تـروى له ما

ارتكبته فى حق أمها، وتبكى وتلطم خديها لتعذيب نفسها عقابا على جرمــها.. ثم بدأت تكذب وتبتكر حوادث إجـرامية تنسـبها إلى نفسهـا وتدعى أنها عذبت بها أمــها.. حتى تزيد إحســاسها بالجرم.. وحاول الطبيب أن يضع حدا لهذه الاعترافات، حتى لا يعرضـهـا لعقدة نفسية جـديدة تدفعها إلى محـاولة التكفير عن ذنوب تتـصورهـا.. ولكن لورا لم تكف عن هذه الاعـترافـات.. وأخذت تتصرف فى حيـاتها على أنها مجرمة، معتـرفة بجرمها، وتستحق العقاب..

إلى أن قرر الطبيب أن يترك البلدة يوما لبضعة أيام يستريح فيـها.. وحاولت لورا أن تجـعله يعدل عن السـفر، ولكنه رفض.. وما كـاد يسافـر حتى حاولت لورا الانتـحار وأنقـذت فى آخر لحظة..

وساعدتها محاولة الانتـحار على التخلص من الشعور بالجرم، فقد اعتقـدت أن محاولتها الانتحار هى تكفيـر كاف عن تعذيبها لأمها..

ولكن انتحـارها كان له سبب آخر.. فـقد كان سفـر الطبيب دافعا ليحرك ذكرى خـروج والدها من البيت.. الذكرى الراسبة فى عقلهـا الباطن.. واعتـقدت أن الطبـيب لن يعود كمـا لم يعد أبوها، أو أن هذه الذكـرى كانت كافـية لتـدفعـها إلى مـحاولة الانتحار..

وعادت لورا تتردد على طبيبهـا، وهو لم يكتشف بعد العقدة

النفسية التى تثير فيـها نوبات الجوع العنيف.. وتدفعها إلى أن تأكل وتلقى فى جـوفها بكل مـا تصل إليه يدها، إلــى أن يغمى عليها..

إلى أن كان يوم..

وكان الطبـيب جالسا فى عيـادته فى انتظار لورا، ولكنها لم تأت، رغم أنها لم تـخلف موعدها أبدا خـلال سنتين كـاملتين.. وكـاد ينسـاها، عندمـا دق جـرس التليـفـون، وسـمع صـوتا محشرجـا غليظا كصوت حيوان، استطاع أن يتبـين فيه نبرات صوت لورا، وسمعها تقول :

- إنى.. جا.. ئعة.. أتعذب.. ب !

ثم ألقيت سماعة التليفون !

وهرع الطبيب إلى بيـتها، واستطاع أن يفتـح الباب بالقوة.. دخل.. ووجـد البيت كـأنه صفـيـحة زبالة مـقلوبة.. زجاجـات فارغة.. وعلب طعـام محفوظة فارغـة.. وبقايا أكل.. وبقع دهن مـتناثرة.. ووجـد لورا مجنونة لا تـعى.. وقد انتـفخ وجـههـا، وانتفخ جسمها.. وانتفخت - على الأخص - بطنها..

واقتـرب منها الطبـيب وتحسس بطنها فـغاصت أصـابعه.. ورفـع عنهـا ثوبهـا.. فـوجدهـا قد ربطت فـوق بطنهـا وسـادة صغيرة !!

وظل بجانبها حتى أفاقت من نوبتها وعادت إلى وعيها، وبدأ يسألها.

ولكنهـا لا تدرى شيـئـا.. إن كل تصرفـاتهـا أثناء النوبة لا تدرى بها..

وقرر الطبـيب أنها ما دامت تـربط وسادة فوق بطنهـا، فإن هناك عقـدة فى عقلها البـاطن تدفعهـا إلى أن تلد طفلا، أو على الأقل أن تكون حامـلا.. ولكن كل النساء يتـمنين أن يكون لهن أطفـال.. فـمـا هو السـر فى هذا الـشـذوذ الذى تعـانيـه لورا، ويجعلها تحاول أن تملأ بطنها لتبـدو حاملا، سواء بالأكل الكثير، أو بربط وسادة فوق بطنها !

ما هو السر الـذى يجعلها تحس - بما أنها ليـست حاملا - بفراغ كبير فى جوفها تحاول أن تملأه بالأكل المجنون ؟!

لا بد أن الطفل الذى تريده لورا - بعقلهـا الباطن - طفل شاذ، يتكون نتيجة شعور شاذ ؟!

ما هو هذا الشعور ؟!

وبدأ الطبـيب ولورا يعـقـدان جلسـات طويلة، وكل منهـمـا يحاول أن يصل إلى العقدة التى تكمن فى العقل الباطن..

واكتشـف الطبيب هذه العقدة نتـيجة فلتة لسـان نطقت بها لورا بلا وعى.. فقـد كانت تجيب عـلى واحد من مئـات الأسئلة التى يلقيها عليها الطبيب، وقالت :

- يبـدو أننـى يجب أن أصنع طفـلا « لمايـك » فى كل مـرة تصيبنى النوبة.. و..

وسكتت فجأة وهى تضع كفها فوق شفتيها، ثم قالت :

– رباه.. هل سمعت ما قلته الآن !!

وابتسم الطبيب..

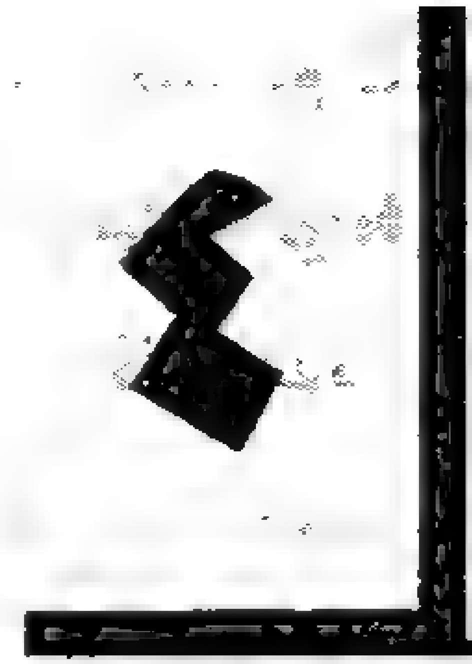
لقد اكتشفت العقدة..

ان « مايك » هو اسم أبيها، وقد بلغ حبها لأبيها فى صغرها إلى حـد أن تمنت أن تنجب مـنه طفـلا.. وظلت هذه الأمنيـة فى عقلها الباطن، وبما أنها أمنيـة لا يمكن أن تتحقق.. أمنية آثمة لا يمكن أن يقرهـا المجتمع.. فـقد انقلبت إلى عقـدة دفعت بالفـتاة المسكينة إلى الجـنون، وأصبـحت تحس فـى مكان الطفل الذى تتـمناه بفراغ مـخـيف، تحاول أن تملأه بـالأكل.. إلى أن تفقـد وعيها، فتربط فوق بطنها وسادة صغيرة !!

وعندما تـكشفت هذه العقـدة أمام لورا، تخلصت مـنها ولم تعد النوبة تعاودها..



هذه واحدة من الحـالات النفسيـة التى قرأتهـا فى الكتاب.. والطبـيب يعرضـها عـرضا رائعـا.. خصوصـا إذا قرأتهـا بكل تفاصيلها.. وقد كنت أميل إلى عدم تصديقها، لولا أن الدكتور « ليندنر » طبيب مشهور فى أمـريكا، وكتابه طبع ثلاث مرات فى عام واحد، وكل الصـحف الأمريكية قالت عنـه إنه كتاب رائع.. وإن الحقيقة دائما أروع من الخيال !



قصة يهودية

عثرت على كتاب بعنوان « كنز من القصص اليهودية ».. وهو كتاب حديث وليس قديما.. ولا يضم قصصا عن الدين اليهودى، بل يضم قصصا عادية، كتبها مؤلفون قد يكونون إنجليز، أو روس، أو أمريكان، أو ألمان.. ولكن ناشر الكتاب نزع عنهم جنسياتهم ولم يحتفظ لهم إلا بصفة واحدة.. هى أنهم جميعا.. يهود !..

والكتاب طبع فى أمريكا.. وقام بإعداده يهودى أمريكى..

والإهداء إلى « الستة ملايين »، أى إلى الستة ملايين يهودى الذين قتلهم هتلر.. كما استنتجت !..

وإذا كانت هناك صفة أخرى توجد بين القصص التى يضمها الكتاب، فهى أنها جميعا كتبت فى الأصل باللغة « الياديش ».. وهى لغة مزيج من الألمانية والعبرية، ويتكلمها

قصة يهودية

يهود أواسط أوربا.. وقد هاجر أغلبية هؤلاء اليهود إلى أمريكا وفرنسا وإنجلترا.. ولكنهم لم يصبحوا أمريكان ولا إنجليز ولا فرنسيين، كما لم يكونوا أبدا ألمان ولا نمساويين ولا مجريين.. إنما هم دائما وفى كل مكان.. يهود !

وكل أبطال هذه القصص.. يهود.. وكلها قصص تدور فى أجواء يهودية، وتصور عقليات اليهود ومشاكلهم ومطالبهم.. وأغلبها يميل إلى الحزن والسواد، وتفترض أن كل يهودى يعيش فى أى بلد - غير فلسطين - إنما يعيش فى المنفى !! وتحس وأنت تقرأها بعالم غريب غامض، منكمش على نفسه.. عالم لم تدخله من قبل، وإذا دخلته لا تستطيع أن تعيش فيه..

وقد قرأت بعض هذه القصص وأنا أحاول أن أتذوقها فنيا متجالا أهدافها العنصرية.. فإننى أؤمن بأن جمال الفن أقوى من العنصرية، وأقوى من الحقد.. أن الفن ينبت جمالا حتى لو زرع فى الطين !!

وكان من بين القصص التى قرأتها قصة بعنوان : « من أجل القبعة ».. وكاتبها اسمه : « شولوم ألبنجم ».. وهذا ملخصها.. وإن كان التلخيص يفقدها تصوير الجو الغامض الذى تدور فيه.



شولم شاشناه.. يهودى يسميه أهل قريته « شولم ذو العقل التائه ».. فهو تائه دائما، وهو كثير النسيان.. ينسى كل شىء.. ورغم ذلك فهو يصر على أن يشتغل سمسارا لبيع وشراء

الأراضى.. دون أن يعرف شيئا عن شئون المهنة إلا ترديد الكلمات الضخمة التى تجرى على أفواه السماسرة.. العمولة.. الصفقة.. المزرعة.. الغابات.. وكان يردد هذه الكلمات فى لهجة خطيرة متعالية كأنه فعلا من كبار السماسرة رغم ثيابه الرثة ومظهره الفقير..

وقد سافر شولم وراء محاولاته لعقد الصفقات، بعيدا عن قريته.. بعيدا جدا.. ولكنه لم يفلح أبدا فى عقد أية صفقة.. كان لا يبدأ فى التفاوض حتى ينسى ما يتفاوض من أجله.. ولكنه أخيرا وبعد أن وصل إلى مدينة بعيدة جدا استطاع أن يعقد الصفقة الوحيدة فى حياته.. واستطاع بعد مجهود عنيف أن يحصل على نصيبه من السمسرة.. مبلغ ضئيل، ولكنه كان بالنسبة له ثروة طائلة..

وأرسل الجزء الأكبر من هذه الثروة إلى زوجته وأولاده الذين تركهم فى القرية.. واحتفظ لنفسه بالباقى.. فقد كان فى حاجة إلى ثياب وحذاء وقبعة.. ثم تذكر أنه بعد ثلاثة أيام ستحل ليله عيد الفصح اليهودى، فأرسل برقية إلى زوجته قال لها فيها : « سأصل ليلة عيد الفصح، وبدون تأخير ».

وبدأ فعلا رحلته الطويلة عائدا إلى قريته، وكانت رحلة شاقة قضى خلالها يومين بلا نوم. ثم إلى محطة « كاسريلفك » ليركب القطار الذى يحمله إلى القرية.. كان الوقت ليلا.. والمحطة مزدحمة.. وهو متعب.. متعب جدا.. ويريد

أن ينام.. وتلفت حوله يبحث عن مكان ينام فيه - أو يستريح - ريثما يأتى القطار.. ولكن المحطة مزدحمة جدا ليس فيها مكان يستريح فيه.. وأرضها مبتلة لا يستطيع أن يجلس عليها، وحوائطها قد احتلها الناس بظهورهم، ولم يعد فيها مكان يسند عليه ظهره..

وأخيرا وجد مكاناً ضيقا فى أحد الأرائك يستطيع أن يحشر فيه نفسه.. ولكن هذه الأريكة ينام عليه شخص ضخم الجثة.. ويمد جسده كله، ويشترك أنفه وفمه فى عزف مقطوعة من الشخير المنتظم، كأنه ينام فى بيت أبيه.. ونظر إليه شولم فى حقد.. ورآه يرتدى حلة رسمية موشاة بالقصب ومحلاة بكثير من الأزرار الصفراء.. من يكون ربما كان أحد كبار موظفى وزارة الداخلية.. وربما كان المفتش العام للمدينة، أو المفتش العام للمنطقة كلها.. وربما كان « بيرشكيفتش » نفسه، الرجل الذى يضطهد اليهود ويذبحهم.. وارتعد شولم وهو يتذكر اسم هذا الرجل.. ولكن ماذا يهم.. إنه يهودى، ولكنه إنسان أيضا.. وهو إنسان متعب قضى يومين بلا نوم.. وهو أحق بالراحة من هذا الرجل الذى ملأ كرشه باللحم والخمر.. ومهما كثر عدد الأزرار الصفراء، فيجب أن يستريح..

وانكمش شولم ووضع نفسه فى المكان الضيق الذى تركته جثة الرجل ذى الأزرار الصفراء.. بجانب قدميه.. وبدأ يغمض عينيه لينام.. ولكنه تذكر فجأة أنه متعب جدا وأنه قد ينام

ويغرق فى النوم فلا ينتبه إلى وصول القطار.. وإذا فاته القطار فسيفوته قضاء ليلة عيد الفصح فى قريته مع زوجته وأولاده..

ونادى شيال المحطة.. ووضع فى يده قطعة من النقود وأوصاه أن يوقظه فى الوقت المناسب ليستقل القطار.. وأكد عليه تأكيدا شديدا، وشرح له كيف أنه لم ينم منذ يومين، ويخاف أن ينام ولا يحس بوصول القطار..

ووضع الشيال قطعة النقود فى جيبه وأقسم بدينه وأيمانه أن يوقظ شولم..

وارتاح شولم فى جلسته، وأزاح رأسه إلى الخلف.. ونام نوما متعبا، حلم خلاله حلما طويلا.. ثم استيقظ على الشيال يهزه بقسوة.. وأخذ وقتا طويلا حتى أفاق من حلمه وتنبه إلى أن القطار قد وصل..

وقام مهرولا، وحمل حقيبته متجها إلى شباك التذاكر ليشترى تذكرته.. ولكنه تنبه إلى قبعته ليست فوق رأسه.. أين هى.. لابد أنها سقطت أثناء نومه.. وهو لا يستطيع أن يعود إلى القرية بلا قبعة.. سيضحكون عليه هناك..

وعاد إلى الأريكة ليبحث عن قبعته.. ومد يده تحتها والتقط قبعة وضعها فى عجلة فوق رأسه، ثم هرول مرة ثانية نحو شباك التذاكر، دون أن ينتبه إلى أنه أخذ قبعة الموظف الكبير بدلا من قبعته.. قبعة رسمية محلاة بالنجوم الذهبية والشرائط الحمراء.

وكان الناس يتزاحمون أمام شباك التذاكر، فحشر نفسه

بينهم.. ولكنهم ما كادوا يرون القبعة، حتى أفسحوا له الطريق وهم يقولون : « تفضل يا صاحب السعادة ».. وظنهم يسخرون منه.. ولكنه لم يأبه.. ووقف أمام عامل الشباك الذى ما كاد يرى القبعة حتى انتفض واقفا وهو يقول : « نعم يا صاحب السعادة.. فى خدمتك يا صاحب السعادة ».. واغتاظ شولم.. إنه يهودى حقا، ولكنه لا يقبل أن يسخر منه أحد يجب أن يرد هذه الإهانة.. ولكنه رغم ذلك سكت، ومد يده بالنقود إلى العامل الذى كان يقول له : « أى درجة يا صاحب السعادة ؟ » وقال شولم وهو يتجاهل شعوره بالإهانة : « الدرجة الثالثة ».. وقال العامل فى دهشة « الثالثة.. يا صاحب السعادة ؟ » واحتد شولم وقال كأنه يبكى مناديا أمه لتنقذه : « نعم.. الثالثة » ! وأعطاه العامل التذكرة وهو يرتعد قائلا : « أمرك يا صاحب السعادة » !

وأخذ شولم التذكرة وجرى وحقيبته تحت إبطه نحو عربة الدرجة الثالثة.. ورآه ناظر المحطة اقترب منه وقال وهو ينحنى أمامه : « لا مكان لك هنا يا صاحب السعادة.. إن العربة مزدحمة.. لا مكان لقدم فيها.. وهى موبوءة برائحة اليهود النتنة.. تفضل معى يا صاحب السعادة » !

ومد ناظر المحطة يده وأخذ حقيبة شولم وحملها عنه.. وسار بجانب عربات القطار.. ولم يستطع شولم أن يناقشه، إنما كان ينظر إليه فى دهشة.. ما حكاية « صاحب السعادة »

هذه.. أهو نوع جديد من الاضطهاد !! وأفاق من دهشته وهو يرى حقيبته تبتعد عنه، فسار وراءها.. وتعدى ناظر المحطة عربات الدرجة الثالثة.. ثم عربات الدرجة الثانية.. ثم دخل فى إحدى عربات الدرجة الأولى.. وشولم يتبعه..

وجلس شولم فى عربة الدرجة الأولى يقول لنفسه ماذا يهم.. لقد وجدت أخيرا مكانا أجلس فيه.. ثم قام وسار فى ممر القطار فقابلته مرآة نظر فيها ورأى رأسه وعليها قبعة الموظف الرسمى الكبير..

وفتح شولم فمه جزعا، وقال لنفسه فى لوعة : « لقد أخطأ شيال المحطة، وبدل أن يوقظنى من النوم، أيقظ الرجل الثانى ذا الأزرار الصفراء.. إنى لن أصل أبدا إلى القرية فى ليلة عيد الفصح » !!

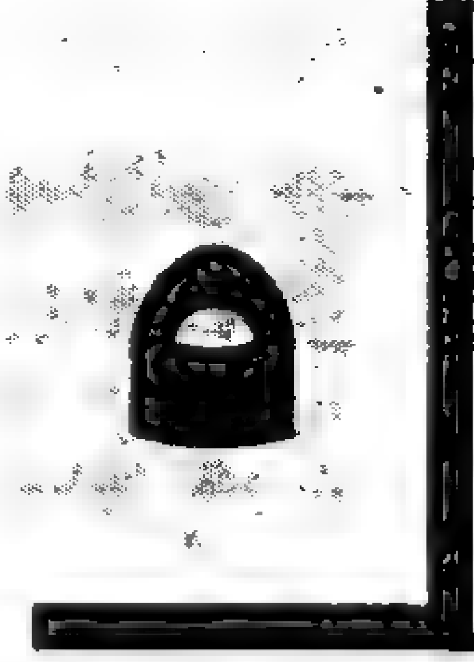
وهرول شولم، وحمل حقيبته، ونزل من القطار.. وذهب ليوقظ نفسه !!

وما كاد ينزل حتى تحرك القطار، وتركه فى المحطة..

ووصلت هذه القصة إلى أهل القرية، وضحكوا لها كثيرا، وأصبحوا كلما رأوا شولم يصيحون فى وجهه :« يا صاحب السعادة » ولكن زوجته لم تضحك مع أهل القرية.. فهى تعرف زوجها جيدا وتتحمل نسيانه وعقله التائه.. ولم يهمها أيضا أنه تأخر عن الموعد الذى حددته برقيته ثلاثة أيام كاملة.. ولكنها عنفته تعنيفا قاسيا على هذه البرقية التى أرسلها.. لقد كان نص

قصة يهودية

البرقية : « سأصل ليلة عيد الفصح بدون تأخير » فلماذا أضاف كلمة « بدون تأخير »، هل كان يحاول زيادة ثروة مصلحة التلغرافات، على حسابه !!



زوجـــــة ..

حكم على زوجـهـا بالنفى عـشـر سنوات فى الغـابة الموحشـة، وأصـرت على أن تصـحبـه فى منفاه.. ورفض.. فـقد كان يخـاف عليهـا من الغابة.. من الوحوش.. والظلام ، والتـعب، ولكنها أصرت وقالت وهى تتعلق بعنقـه : « يا سيدى.. يا حبيـبى.. إن حياتى معك.. لو ابتعدت عنى، ابتعدت عنى الحياة » !

وخرجا إلى الغابة..

لم تكن تشكو.. ولـم تزفر.. ولـم تندب حظهـا.. ولم تخف.. كانت تغنى له حتى تشغله عن زئيـر الوحوش.. وكانت تضحك له حتى تبدد الظلام من حولـه.. وكانت تروى له القصص حتى لا يشعر بالأشواك التى تشق قدميه.. وكانت تحتمى فى صدره العريض لتشعره بقوته.. لتـشعره أنه أقوى من الغابة.. وأقوى

من الوحوش.. ومن الظلام.. ومن الحاكم الذى نفاه..

ووصلا ذات ليلة إلى صومـعة راهبة عجوز عمـياء، اعتزلت الدنيا ووهبت نفسهـا إلى الله.. وانحنت الزوجة تقبل يد الراهبة وترفـعهـا إلى جبـهتـها.. وتحـسست الراهبـة وجهـها بيـدها المرتعشـة ثم قالت : « إنك جـميلة يا بنيتـى.. وهذا ليس شرا.. وأنت شـابة حباك الله بـالصحـة والعافـية.. وهذا خيـر.. وأنت زوجة مطيعة أمينة.. وهذا أعظم ما فيك.. »

واستطرت الراهبة العجوز : « لقـد سمعت عنك.. سمعت أنك هـجرت بيتك لتتبـعى زوجك فى ظلام الغابة.. وهناك من يعتقد أن هذه بطولة.. ولـكنى لن أنافـقك.. إنك فـقط أديت واجـبك.. واجب كل زوجـة.. فالزوجـة المطيعـة صدى لزوجـها.. صـدى لآلامه وأفراحه، وعقلها مـرآة تعكس أفكاره.. وتصرفاتها تحدد وفقـا لرغباته.. وهى دائمـا تتبعـه، مخلصة، منـكرة لذاتها، كظل يقتفى خطوات صاحبه فوق الرمال » !

وأجابت الزوجة فـى تواضـع : « أيتها السيـدة المقدسة.. إنى لا أعرف إذا كنت زوجـة مطيعة أم لا.. ولـكنى أعرف أنى أحب زوجي.. أعرف أنى عندما أقف بجانبـه فى المساء، وأرى وجهه الحبيب على ضوء النار، وتلتقى عيناى بعينيه الرحيمتين.. أعرف أن روحى فى هذه اللحظة تذهب إليه وتسكن صدره.. ولا أدرى هل هو الله الذى يفعل بى ذلك.. أم هو ضوء النار.. أم شـىء فى عينيه يشد قلبى إليـه.. ولكنى أسميه الحب.. الحب الذى يذيبنى

زوجــة..

فى زوجى.. إن كرامتى الشخـصية هى زوجى.. والأمل والفرح والجمـال هى زوجى.. وأحلامى بالعـالم المجهول تنحـصر فى زوجى.. وكلما تطلعت إلى السماء.. إلى الله.. رأيت زوجى » !

وابتـسمت الـراهبة العـجوز ورفعت يدهـا تبارك الزوجـة الصغيرة وقالت : « لقد وهبتك الخلود.. ستعيشين وحولك هالة من النور تضىء وجهك لتزدادى جمالا.. ولن يفنى جمالك أبدا ».

وصفقت الزوجة فـرحة فى براءة الأطفال وصاحت : « إذن.. سأبدو أكثر جمالا فى عينيه » !

هذه فقرة من إحدى قصص تاريخ الهند..

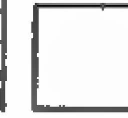
والزوجة اسمها : سيتا..

والزوج اسمه : راما..

وليس تاريخ الهند وحده هو الذى يضم مـثل هذه الزوجة.. إنى أعرف زوجة أخرى تعـيش بيننا الآن - هنا فى مصر - لا تقل عن « سيتـا » تفانيا فى زوجها.. وهى لا تتفـانى فيه لأنها تزوجتــه ولكن لأنهـا تحــبــه.. إنه ليس الزواج الـذى يصنع الزوجات الخالدات.. ولكنه الحب !.

٦

خطاب من ميت !!



قصة للكاتب الألمانى « آرثر تشنيتزلر » اسمها « موت الأعزب »..

●●●

ثلاثة من الأصـــدقاء – طـبيب، وكـاتب، ورجل أعمـال – تلقوا دعوة عـاجلة لزيارة صديق رابع أصـيب بأزمة قلبية حادة، ويكاد يموت..

وكـان الطبيب أول من وصل، ومـا كـاد ينحنى فوق صــدر المريض حتى عرف أنه وصل متأخرا.. لقد مات..

ورفع الطبيب رأســه فى أسى.. ولم يكن أساه على صـديقه وإنما كان أسـاه على نفسه.. إن الإنسـان يصل إلى سن ينسى فـيـه الموت، ولا يعود يـذكره إلا كلمـا سـمع بموت واحـد من الأصدقـاء.. وهو الآن لا يفكر فى أن صـديقه قد مـات.. ولكنه

خطاب من ميت !!

يفكر فى الموت نفسه ويتذكر أنه سيموت يوما ما.. وعندما يموت لن يكون وحيدا كهذا الصديق، ولن يحيط به هذا الفراغ الصامت الثقيل.. ستكون معه ساعة الموت زوجته الحنون وأولاده.. أما صديقه فقد عاش طول عمره عزبا.. ولعله نادما !!

وجاء بعد ذلك رجل الأعمال، والكاتب.. اجتمع الثلاثة حول فراش الميت يتبادلون كلمات مقطعة، يعتقد كل منهم أن من واجبه أن يقولها.. ثم قال رجل الأعمال :

– إنى حائر.. لماذا دعانا نحن الثلاثة بالذات عندما أحس بالموت ؟

وقال الطبيب :

– لعله دعانى كطبيب فضلا عن إنى صديق. ولعله دعاك ليكلفك ببعض الإجراءات المتعلقة بوصيته..

وقال الكاتب :

– إنه أعزب.. وحيد.. والإنسان لا يحب أن يموت وحيدا، ولعله دعانا لأننا أقرب الناس إليه.. فشقيقته تقيم بعيدا فى لندن..

وعاد رجل الأعمال يقول بعد فترة صمت :

– لست مقتنعا.. وما زلت أتساءل، لماذا دعانا نحن الثلاثة بالذات ؟!!

ولم يرد أحد.. ونظر الثلاثة إلى وجه الميت كأنهم يستنطقونه السر.. ثم تكلم رجل الأعمال أيضا :

- إن له عشيقة.. لماذا لم يستدعها إلى جواره فى هذه الساعة !

وقال الطبيب متعجبا :

- عشيقة.. وهو فى هذه السن ؟!

وأجاب رجل الأعمال :

- لقد قابلته فى الأوبرا منذ أسابيع ودعوته إلى العشاء، ولكنه رفض وقال إنه مرتبط بموعد آخر.. موعد من مواعيده المريبة !

وقال الطبيب لنفسه : « سأكون أسعد الناس لو استطعت أن أكون أول المنصرفين.. إننا فى هذه السن لا نستطيع أن نكون أصدقاء.. إن الصداقة تحتاج إلى مجهود كبير لا تحتمله شيخوختنا.. إننا فقط نستطيع أن نكون معارف » !

وفى هذه اللحظة دخل رئيس الخدم، وسأله رجل الأعمال :

- ألا تدرى لماذا دعانا السيد قبل أن يموت ؟

وقال رئيس الخدم :

- الذى أعلمه أنه منذ خمس سنوات طلب منى السيد فى حالة موته أن أستدعى إلى فراشه خمسة من أصدقائه.. وكتب لى أسماءهم فى ورقة مازلت أحتفظ بها.. وقد رأيت من واجبى أن أنفذ وصيته، ولكنى لم أجد إلا أنتم الثلاثة، أما الرابع فقد مات، والخامس سافر إلى خارج البلاد..

وأحرج رئيس الخدم ورقة من جيبه، خطفها رجل الأعمال

خطاب من ميت !!

والكاتب ليقرأ فيها اسميهما، بينما كان الطبيب يتلفت فى أنحاء الغرفة ملولا، وفى تلفته رأى أحد أدراج الفقيد نصف مفتوح، ولمح فى داخله خطابا ملقى. واستطاع أن يقرأ على ظرف الخطاب كلمة : « إلى أصدقائى » !

ومد الطبيب يدا مرتعشة وأخرج الخطاب ثم تقدم به إلى صديقيه، وهو يقول :

– أظن أن هذا الخطاب موجه لنا ؟

وأطل الصديقان على كلمة إلى « أصدقائى » ثم صاح رجل الأعمال : افتحه !!

وفتح الطبيب الخطاب، وحاول الثلاثة أن يقرأوه معا، ثم اتفقوا على أن يتولى الكاتب قراءته لهم بصوت عال.. وبدأ الكاتب يقرأ :

أصدقائى :

« لا أدرى ما الذى دفعنى إلى كتابة هذا الخطاب لكم.. إننى الآن ميت ولن أرى تأثير خطابى على وجوهكم، وإن كنت أعلم أنه تأثير الألم.. ثم إنى أحبكم.. أحبكم على طريقتى الخاصة، وإن كنت قد اتخذت منكم أحيانا ضحايا لدعاباتى، فإنى كنت دائما أحترمكم.. ومازلت أحترمكم.. فلماذا أكتب لكم هذا الخطاب المؤلم ؟ ربما لأنى أريد أن أغادر الدنيا بعد أن أتخلص من كل الكذب الذى ارتكبته.. أغادرها بضمير مستريح دون أن أحس بالندم »..

وتوقف الكاتب عن القراءة.. وظهرت خطوط ترسم الألم

والحيـرة واللهفـة على وجوه الثـلاثة.. ثم مد رجل الأعـمال يده وخطف الخطاب، وقال فى صوت مبهور : دعنى أقرأ..

وبدأ رجل الأعمال يقرأ :

« أصدقائى..

« لقد ضاجعت فى الفراش كل زوجاتكم.. كلهن.. الخمس »!!

« وتوقف رجل الأعمال عن القراءة وهـو يلهث، وقلب صفحة الخطاب فى يده باحثا عن التاريخ، ثم صاح :

– هذا الخطاب كتب منذ تسع سنوات !

وصاح الكاتب فى غيظ :

– استمر فى القراءة..

وعاد رجل الأعمال يقرأ :

«.. كانت عـلاقتى بزوجاتكم مخـتلفة.. لقد عـشت مع واحدة منهن حياة تقرب إلى الحياة الزوجـية.. والثانية كان بينى وبينها ما يسمى مـغامرة جنونية.. ووصلت علاقتى مع الثـالثة إلى حد أننا فكرنا فى الانتحار معا.. والرابعة ألقـيتها مرة من فوق السلم لأنها خانتنى مع آخـر.. أما الخامسة فلم يكـن بينى وبينها سوى ليلة واحدة كانت أمتع ليلة فى عمرى وعمرها.

« وهذا هو كل ما أريد أن أقـوله لكم يا أصدقـائى.. وسأطوى الآن خطابى وأضعه فى الدرج إلى أن تقرأوه، أو إلى أن أعدل عن رأيى وأمزقه قبل أن يصل إليكم.. وداعا »..

وسكت الثلاثة..

خطاب من ميث !!

وأخذ الكاتب يروح ويجئ فى الغرفـة، ثم صاح فجأة : « كلب قذر ».. وسكت مرة ثانـية يفكر فى زوجته التى عـاشت معه كل هذه السنين.. لقـد كانت جمـيلة عندما تزوجـها.. رائعـة.. ولكنها الآن عجوز وجسمـها لا يصلح لرجل.. ومنذ عدة سنوات وهو لا يستطيـع أن ينظر اليها كـامرأة.. إنها الآن أكـثر من امـرأة.. إنها صديقة، زميلة، تفـخر بنجاحه وتأسف لفشله.. وتفهمـه.. تفهمه كـأنها جـزء من عـقله وقطعة من قـلبه.. وهو لا يصـدق أن هذا الأعزب العجـوز الحقود حاول أن يأخذها منه يومـا ما.. حتى لو أن ما جاء فى الخطاب كـان صحيحا. فمـاذا تعنى هذه الأشياء.. ماذا تعنى خـيانة زوجة أو خـيانة زوج.. إنهـا أشياء تمر بحـياة الإنسان ثم تتلاشى كقطع الحساب.. وهو نفـسه قد خان زوجته مرارا فقد كان يحتفظ لنفسه بحياة الفنان البوهيمى.. وهو يبحث فى قرارة نفـسه الخـيانات فـلا يجد لها أثراً.. لا أثر بـالمرة.. لقد تلاشت وبقـيت كل روحه خالـصة لزوجتـه.. وهذا الخطاب.. إنه رصـاصة أطلقـهـا أعزب حـقود يـحسـد الناس على نعـمتـهم.. رصاصة خائبة !

وكان الطبيب قد تناول الخطاب وأخذ يقرأه لنفسه مرة ثانية.. وكان من خلال هذه السطور يتذكر زوجـته التى تركها نائمة فى البيت.. رقتها.. وحنانها.. وطيبتها.. ويتذكر أولاده.. إن ولده دعى لأداء الخدمة العـسكرية هذا العام، وابنته الكبـرى قد خطبت إلى محام شاب، والصغرى فازت فى مـسابقة جمال.. وتذكر الهدوء

والحب اللذين يلفان بيته وعائلته.. وخيل اليه وهو يقرأ الخطاب أنه يسمع أنباء ليست هامة، أو يقرأ قصة لا تمت إليه بصلة.. ورغم ذلك فقد حاول أن يتذكر المناسبة التى كان يمكن أن تخونه فيها زوجته.. لا بد أن ذلك حدث منذ أربعة عشر عاما. لقد أصيب بتلك الأيام بنوبة عصبية نتيجة لفشله فى مستقبله الطبى، وهجر زوجته وعائلته، وفر إلى حياة متشردة.. وعرف فى هذه الأثناء امرأة أخرى.. امرأة من نار.. كانت مجنونة، انتحرت حبا فى رجل آخر.. وابتسم وهو يتذكر هذه المرأة الأخرى كأنه تذكر مرحلة من شقاوة الشباب.. لا بد أن زوجته ضجت من وحدتها فى هذه الاثناء وضعفت ذات يوم وسقطت بين ذراعى هذا الأعزب الحقود.. وهو يذكر أنها حاولت أن تعترف له بسقطتها.. أشارت له فى عدة مناسبات، ولكنه لم يلق بالا إلى هذه الإشارات ولم يفهمها.. متى كان ذلك.. متى حاولت أن تعترف ؟ وحاول أن يتذكر..ولكنه لم يستطع !

وكان رجل الأعمال واقفا أمام النافذة يحاول أن يتذكر زوجته هو الآخر، وقد وجد صعوبة فى أن يجمع صورتها فى ذهنه.. لقد ماتت منذ عامين، واستراح لموتها حتى أنه نسيها عقب أن انتهى من إجراءات الدفن مباشرة.. واضطر لكى يتذكرها أن يستعين فى مخيلته بصورتها التى لا تزال معلقة فى بيته فوق المدفأة.. تذكر الفتاة الخجول التى خطبها لنفسه.. ثم تذكر المرأة التى كانت تجلس بجانبه فى الأوبرا وقلبها وعقلها بعيدان عنه

بمئات الأميال.. وتذكرها عندما استقبلته عقب عودته من رحلة طويلة استقبالا باردا كأنها لم تكن تريده أن يعود.. ثم تذكرها كيف أصبحت عصبية متعبة قلبت البيت إلى جحيم.. وتذكرها وهى أم تجلس بجانب ولدها المريض إلى أن مات.. ثم رآها وهى مريضة وقد تقلصت شفتاها من الألم وقطرات من العرق البارد تتفصد من جبينها، ورائحة الأثير والأدوية تحيط بها.. ثم ماتت.. ورآها فى خياله عندما ماتت.. وتذكر مع موتها مئات من الذكريات الأخرى.. وخيل إليه أن كل هذه الذكريات ليست فى عالمه.. إنها ذكريات رجل آخر.. ذكريات لا تهمه !!

وتحرك الأصدقاء الثلاثة وخرجوا من البيت الذى يرقد فيه الميت وسار رجل الأعمال وحيدا إلى بيته.. وركب الطبيب مع الكاتب فى عربة واحدة.. وعندما وقفت العربة أمام منزل الطبيب تبادل الصديقان نظرة طويلة كأن بينهما سؤالا ينتظر أن يجيب عنه أحدهما..

وقال الكاتب للطبيب وبين شفتيه ابتسامة خفيفة :

– أنا أيضا لن أقول لزوجتى شيئا !!

وابتسم الطبيب كأنه ارتاح، ودخل بيته وهو يشم فى أرجائه عبير الحب والحنان..

وعندما وصل الكاتب إلى بيته تسلل على أطرف أصابعه ثم أخرج من جيبه خطاب الأعزب – وكان قد احتفظ به – ووضعه فى أحد أدراج مكتبه، ثم أغلق الدرج بالمفتاح وهو يقول لنفسه :

خطاب من ميت !!

« عندما أموت وتجد زوجتى هذا الخطاب.. ستعلم أنى كنت زوجا عظيما. ورجلا نبيلا » !



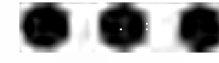
هذه هى القصة.. وقد حاولت فى تلخيصها أن أحتفظ بتسلسلها وتحليل إحساس كل من الأزواج الثلاثة.. وقد ساءلت نفسى عقب أن قرأتها : لو أن المؤلف كان مصريا، هل كان ينتهى إلى نفس النهاية.. أى ينتهى إلى أن يصفح الأزواج عن الزوجات الخائنات ؟

لا أظن. كانت النهاية قد تغيرت.. وانتهت القصة بقتل الزوجات، أو على الأقل بالطلاق.. إرضاء للتقاليد ولقاموس الشرف !!



الفقـــراء

هل يمكن أن يعيش الفقير دون أن يحس بفقره ؟
إن الكاتب الأمريكى جون شتاينبك يقول :
نعم ثم يكتب قصة يثبت بها أن الفقير يستطيع أن يعيش سعيدا..



رجل يعمل كاتبا فى بنك.. إنه لا يريد من الدنيا شيئا، ولا يعرف فى الدنيا أحدا.. يخرج من عمله ويذهب إلى بيته، ويقرأ.. ويظل يقرأ إلى أن يعود إلى عمله.. إنه يقرأ القصص والتاريخ ويعيش فيما يقرأه.. إن عالمه هو العالم الذى يتحدث عنه التاريخ، وتتحدث عنه القصص..

ومرض الرجل وذهب إلى طبيب، فقال له إنه سيموت إذا لم ينتقل إلى إحدى الولايات الجافة الهواء.

ووجد الرجل فى جيبه خمسمائة دولار.. لم يدخرها ولكنه

نسى أن يصرفها.. فحملها وسافر إلى ولاية جافة الهواء، وأقام هناك فى مزرعة صغيرة تملكها أرملة..

وعاش هناك فى كسل.. لا يفعل شيئا إلا أن يستلقى فوق الحشائش، ويدلى ساقيه فى النهر الصغير، ويعبث بأصابع قدميه في الماء.. ويقرأ !

واسترد صحته.. ولكنه استعذب الكسل.. عرف أن أجمل شىء فى الحياة هو الكسل.. حتى فى مخالطة الناس..

ثم بدأت نقوده تتلاشى.. وبدأت الأرملة فى نفس الوقت تحدثه عن ألسنة الناس التى بدأت تلسعها لأنها قبلت فى بيتها ساكنا أعزب.. فتزوجها.. تزوجها حتى لا يفقد الجنة التى يعيش فيها..

وفى صبيحة يوم الزواج طردت المرأة العامل الذى كان يقوم بخدمة المزرعة، ثم أعطت زوجها فأسا، وقالت له اعمل..

وحاول الرجل أن يعمل فعلا، ولكنه كان قد فقد عقلية العمل.. وفقد الإرادة التى تجعله يعمل.. فما كاد يرفع الفأس حتى ألقاها جانبا، واستلقى على الحشيش وألقى قدميه فى ماء الغدير، وأخذ يقرأ.. دون أن يدرى أنه ترك عملا.. دون أن يحس أنه قصّر فى شىء..

وعجزت زوجته عن أن تدفعه إلى العمل.. وساءت حالها.. أهملت المزرعة، وأصبحا فقراء.. والرجل لا يزال يعيش سعيدا فى عالمه.. إنه سعيد وهو يسير حافى القدمين، وسعيد وهو

يرتدى ثيابا ممزقة، وسعيـد وهو يأكل وجبة واحدة من الطعام بلا لحم، وسعيد وقد أطلق لحيته حتى تدلت على صدره..

وبعد سنوات أنجـبت زوجته طفـلا.. وماتت وهلى تند.. ولم يدر الرجل ماذا يفـعل وهو يرى زوجته تموت.. كل مـا فعله أن أخذ يقرأ لها فى كتاب « رحلات جلفر »، وعندما رفع عينيه من الكتاب، كانت زوجته قد ماتت..

وثار عليه الجيران.. وثاروا عليه أكثر لاستسلامه لفقره.. ثم تلاشت ثورتهم ونسوه..

وأخذ الرجل يربى طفله..

رباه على أن يعـيش معـه فى كسله.. يرقـد على الحشـائش ويدلى قـدميه فى الماء.. وكـان يعامله كـأنه مثله.. رجـل كامل، وليس طفلا.. ويقرأ له كل الكتـب التى قرأها..ونشأ الطفل وهو لا يعلم إلا العالم الذى يعـيش فيه.. عالم الفـقر.. وكان وهو فى الرابعة من عـمره يناقش أباه فى كتب تشيكوف، وفـى سقوط الأمبراطورية الرومانية..

وعندما وصل الـطفل إلى السادسة من عـمره، بدأ الجـيران يهتمون به، وأرسلت مـدرسة القرية إنذاراً إلى والده بأنه يجب أن يرسل ابنه إلى المدرسة طبقا للقانون..

واضطر الوالد أن يخـضع للقانون وأرسل ابنه إلى المـدرسة.. وأرسله فقيرا كما هو.. حافى القدمين، ممزق الثياب..

والتف باقى الطلبـة حـول الولد الفقـير.. لـقد سـمعـوا عنه

قصصا أشبه بالأساطير.. وقد حان اليوم الذى يلتقون به فيه، ويخرجون له ألسنتهم، ويصبون عليه سخرياتهم..

ولكن الولد وقف بينهم ثابت العينين، ووجهه يحمل قوة شخصيته.. كأنه رجل.. ثم لم تمض أيام حتى استطاع أن يكتسب قلوب زملائه.. وأن يتزعمهم.. بل إنه اكتسب أيضا قلوب المدرسات ومديرة المدرسة، وهو يفاجئهم بمعلوماته فى الأدب والتاريخ..

وأصبحت مظاهر فقره أشبه « بالموضة » بين الطلبة.. إن كل الطلبة يقلدونه فى فقره.. يحاولون أن يسيروا حفاة مثله، ويمزقون ثيابهم لتبدو مثل ثيابه.. و.. و..

وفى آخر السنة اجتمع مجلس القرية – الذى يشرف على إدارة المدرسة – وقرروا شراء حذاء وملابس جديدة للولد الفقير.. وذهبوا بما اشتروا إلى ناظرة المدرسة، وطلبوا منها استدعاء الولد ليتسلم هدية المجلس..

وقالت الناظرة :

– أخاف أن تجرحوا إحساسه بإحسانكم عليه..

وقال رئيس المجلس :

– سيكون ممتنا، وسيشكرنا..

قالت :

– إنه لا يدرى أنه فقير.. وإحسانكم سيشعره بفقره !

قال رئيس المجلس :

- إن الله لم يخلق ولدا يـرفض أن يضع فى قـدمـيـه حـذاء جديدا، ويلبس ملابس جديدة..

وأصروا على استدعاء الولد..

وأعطوه اللفـافة التى تحمل إحـسانهم عليـه.. وفتح اللفـافة ورأى مافيها.. ثم رفع رأسه صـامتا.. ونظراته جريحة.. وترك الهدايا على الأرض، وخرج عائدا إلى أبيه.. إلى بيته الفقير!

وتمر الأيام.. ويشـاهد أهل القـريـة الرجل وقـد حلق ذقنه، وارتدى حذاء وحلة كـاملة، وبجانبـه ابنه يسيـر فى حذاء وهو أيضا مرتد حلة كـاملة.. كان يسير كأن فى قدمـه شوكة.. إنها أول مرة يسجن قدميه فى حذاء..

واستوقفتهما الناظرة وقد رأت وجهيهما ينضحان بالتعاسة:

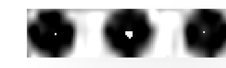
- إلى أين؟

قال الرجل فى حزن:

- إلى سان فرانسيسكو.. سـأعمل من جديد كاتبا فى بنك..

كنت قد نسيت أنى رجل فقير، وأن ابنى يجب ألا ينشأ فقيرا..

وسارا وكأنهما يخوضان فى نهر الدموع..



هذه هى القصة بعد الاختصار الشديد..

إنها قصـة تنادى بشعار: «دعوا الفقـراء فى فقرهم.. إنهم سعداء» !! وهو شعار لا ينادى به إلا الأغنياء..

إن الأغنياء يـعتقـدون أن الفقـراء سعداء، لأنهم لا يـحملون

مسئولية مراجعة حساب البنك !!

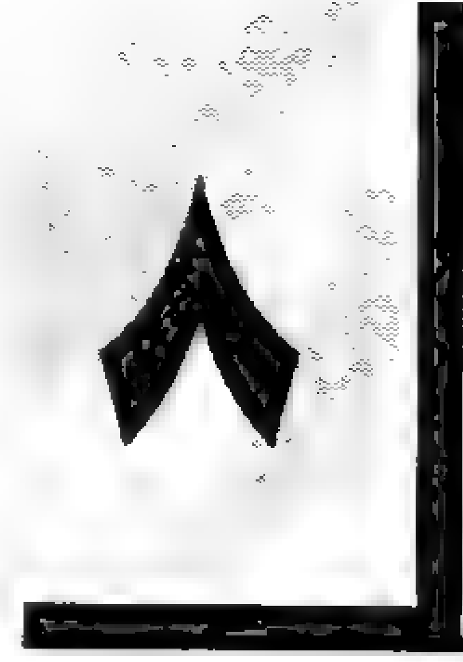
وصاحب الأرض يعـتقد أن الفـلاح سعيـد لأنه لا يلعب فى البـورصــة !! ويؤكد - أى صـاحب الأرض - إن « مـا حـلاها عيشة الفلاح، متهنى ومرتاح البال » !

ولكن هذه القـصة تتـمادى أكـثـر من ذلك.. إن شتـاينبك لا يعتقد أن الفقـير سعيد فى فقره فحسب، بل يعتـقد أن الفقير لا يحس بفقره إطلاقا.. فما دام أحد لا يعايره بفقره، وما دام أحد لا يجرح كبرياءه بالتصدق عليه، فهو لا يدرى أنه فقير..

وشتاينبك بذلك لا ينكر علـى الفقير نعمة العـقل فحسب، بل ينكر عليــه نعـمــة النظر أيضــا.. إنه ينكر عليـه أنه يرى الناس يركبون السيارات ويلبسون الأحذية، فى حين أنه يسير حافيا.. وينكر عليـه أنه يرى بعـينيـه الناس تأكل الـلحم وهو لا يأكله ويرتدون ثيـابا وهو لا يرتدى. ويدخلون إلى الســينمــا وهو لا يدخل..

إن الفقر بالنسبـة لشتاينبك عالم آخر، لا يرى من فيـه شيئا من مظاهر عالم الأغنياء.. وهو يطالب الأغنيـاء بأن يبتعدوا عن عالم الفقراء، ويتركوهم يعيشون فى هدوء.. وكسل وسعادة !!

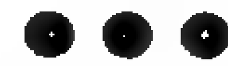
إنها قصة تنقـصها الإنسانية.. وقد بدأ شتــاينبك حياته الأدبية كاتبا إنســانيا حساسا، ولكنه وقع تحت ضـغط الإرهاب، فانحرف فجأة انحرافا حادا، وأصبح يكتب مثل هذه القصص..



الملاك جبريل ..

منذ أكثر من ستمائة سنة كتب « جيوفانى بوكاشيو » مجموعة قصص قصيرة جمعها فى كتاب أسماه « ديكامرون ».. وهى قصص أخلاقية أشبه بقصص كليلة ودمنة.

والكتاب عندى منذ أكثر من عشر سنوات ولكنى لم أبدأ فى قراءته إلا اليوم.. وهناك كتب تحس أنها تستطيع أن تنتظرك وكتب تحس أنها لا تستطيع أن تنتظر ، فإن لم تقرأها فى وقتها ضاعت متعتها.. وهذا هو الفرق بين الفن الخالد، والفن العابر.. الفن الخالد هو الذى يعيش دائما وفى كل يوم، والفن العابر هو الذى يعيش وقته فحسب ثم يتبخر، وينتهى كما تنتهى الموالد..



الملاك جبريل..

كان رجلا سيىء الخلق. نصابا كذابا، منافقا، فجعان.. وساءت سمعته فى بلده حتى لم يعد أحد يطيقه أو يتعامل معه، ولم يعد أحد يصدقه حتى لو قال الصدق.. وهاجر من بلده وذهب إلى فينيسيا.. عاصمة الخطايا.. وهناك قرر أن يتبع أسلوبا جديدا فى النصب، فانضم إلى إحدى الكنائس.. ودون أن يكتشف أحد أمره أصبح قسيسا وسمى نفسه « الأب ألبرتو ».. أصبح اللص يعظ الناس.. وصدقه الناس.. كان فى صوته رعشة كأنها رعشة إيمان.. وعلى وجهه صفرة كأنها صفرة حرمان.. وكانت دموعه كأنها فى جيبه يستطيع أن يطلقها كلما أراد.. وكان متزمتا فى أحكام الدين، يثور لأتفه خطيئة، ويهدد بالويل كل من يخرج على أوامر الله..

وآمن به الناس أكثر مما آمنوا بأى قديس آخر.. وائتمنوه على أسرارهم وأموالهم.. كانوا يصرون على أن يتلقى بنفسه اعترافاتهم، وكانوا يحتفظون عنده بحليهم ونقودهم، ويختارونه وصيا على أولادهم.. و.. و..

وفى يوم من الأيام ذهبت بعض زوجات كبار تجار فينيسيا للاعتراف أمام الأب ألبرتو.. ذهبن فى رشاقة ودلال كما يسبح الجندول على صفحة الماء.. وكانت أكثرهن رشاقة ودلالا السيدة ليزيتا زوجة تاجر كبير كان غائبا عن فينيسيا وراء تجارته..

وجاء دور السيدة ليزيتا للاعتراف.. إنها أقوى من الخطيئة..

إنها لا تعترف إلا بهنات صغيرة يرفض الملائكة أن يقيدونها فى حساب السيئات..

ونظر إليها الأب ألبرتو، وامتلأ صدره بالشهوة، ثم قال وهو لا يزال محتفظا بوجه القديس :

– أليس لك عشيق ؟

وذعرت السيدة ليزيتا وقالت فى غضب :

– ماذا جرى لك يا أبى.. أليس فى وجهك عينان.. هل هناك على وجه الأرض رجل يستحق أن يكون عشيقا لهذا الجمال.. إن جمالى لا يستحقه إلا ملائكة السماء..

وعرف الأب البرتو نقطة الضعف فى ليزيتا.. إنها امرأة مغرورة بجمالها إلى حد أنها وهبته للملائكة وضنت به على البشر..

وبعد أيام ذهب الأب ألبرتو إلى منزل السيدة ليزيتا، وانتحى بها ركنا، ثم سقط أمامها على ركبتيه وقال فى صوت متهدج ودموع تجرى على خديه :

– سيدتى، أتوسل إليك أن تصفحى عنى.. أرجوك.. بحق السماء، اصفحى عنى..

وقالت السيدة الغبية :

– لماذا.. وماذا فعلت ؟

– لقد أهنت جمالك عندما جئت للاعتراف.. وقد عوقبت عقابا شديدا فى تلك الليلة.. فقد كنت أصلى كعادتى قبل أن

أنام، وفجأة امتلأت حجرتى بنور قوى وهاج، ثم خرج من النور شاب جميل فى يده عصا.. وأمسك بعنقى وألقانى أرضا وأخذ ينهال علىّ ضربا.. وصرخت أسأله عن سبب هذا العقاب المفاجىء، فقال لى « إنى أعاقبك لأنك جرحت إحساس السيدة ليزيتا عندما تصورت أن جمالها يمكن أن يكون متعة لأحد من أهل الأرض.. ويجب أن تعلم أنى أحب السيدة ليزيتا.. أحبها.. أحبها بعد الله !! فقلت له وهو لا يزال ينهال علىّ ضربا : « من أنت يا سيدى » قال : « أنا الملاك جبريل » !

وشهقت ليزيتا وقالت :

– جبريل.. إنى أحبه طول عمري.. إنى أوقد له الشموع كلما ذهبت إلى الكنيسة..

ثم استطردت وعلى شفتيها ابتسامة غرور :

– ألم أقل لك إن جمالى لم يخلق إلا لمتعة الملائكة !

وقال الأب ألبرتو :

– سيدتى.. لقد توسلت إلى الملاك جبريل أن يصفح عنى.. فقال إنه لن يصفح إلا إذا غفرت لى ذنبى.. وقال لى أشياء أخرى، لن أقولها لك إلا بعد أن أنال غفرانك !

قالت فى لهفة :

– ماذا قال لك ؟

قال :

– اغفرى لى أولا..

قالت :

– لقد غفرت لك.. وعذرك أنك كنت تجهل قيمة جمالى..

وقال ألبرتو وقد انتصب واقفا على قدميه :

– شكرا سيدتى.. والآن اسمعى ماذا قال لى جبريل.. لقد قال لى سرا كبيرا يجب أن يبقى بيننا وإلا حق علينا غضب الله.. قال لى إنه اشتاق إليك إلى حد أنه يريد أن يزورك فى الليل !

قالت ليزيتا فرحة :

– يسعدنى أن ألقاه فى أى وقت يشاء..

قال :

– إنك أكثر نساء العالم حظا يا سيدتى.. ولكن الملاك جبريل قال إن الملائكة لا يستطيعون أن يجتمعوا بالبشر لأن الله خلقهم من نور.. ولذلك فهو مضطر أن يحل فى جسد آدمى حتى يلقاك، ويرجوك أن تختارى شكل الآدمى الذى تفضلين أن يحل فى جسده..

قالت ليزيتا :

– إنى أترك له الخيار.. يكفينى أنه جبريل... وأنه يحبنى !

وسكت الأب ألبرتو قليلا، ثم قال فى توسل :

– لى رجاء يا سيدتى، لو حققته لى ستجعلين منى أسعد إنسان على وجه الأرض.. وهو أن تطلبى من الملاك جبريل أن يحل فى جسدى لأنه فى الفترة التى سيقترض خلالها جسدى ستذهب روحى وتقيم فى الجنة وتسعد هناك.. أرجوك

يا سيدتى.. أرجوك..

وقالت ليزيتا :

– لا مانع عندى.. إنى متلهفة إلى لقيا جبريل !

وخرج الأب ألبرتو بعد أن أوصى السيدة أن تترك بابها مفتوحا حتى يدخل منه جبريل لأنه سيأتى فى جسد آدمى.. ثم ذهب إلى أحد أصدقائه الخصوصيين وأوصاه أن يعد ثوب ملاك وجناحين من ريش..

وفى الليل ذهب ألبرتو وهو فى ثياب الملاك إلى السيدة ليزيتا..

وقضى معها الليل.. والنور مطفأ.. وهى سعيدة.. سعيدة.. فى منتهى السعادة..

وعاد ألبرتو إلى الكنيسة فى الفجر..

وذهبت إليه ليزيتا فى صباح اليوم التالى لتروى له « المجد الخالد » الذى منحه لها جبريل فى فراشها..

وقال ألبرتو :

– إنى لا أستطيع أن أحس بمدى سعادتك يا سيدتى.. ولكنى فى تلك الوقت كنت أسعد رجل فى الكون، فبمجرد أن أخذ جبريل جسدى، انتقلت روحى إلى الجنة..

وانقضت الليالى.. وألبرتو يذهب كل ليلة إلى الجنة.. إلى فراش ليزيتا..

ثم حدث أن زارت ليزيتا إحدى صديقاتها، وأخذتا تتحدثان

عن جمال النساء وعشاقهن.. وطغى غرور ليزيتا، فقالت :

– لو عرفت من وقع أسير حبى، لعرفت أن ليس هناك جمال يمكن أن يقارن بجمالى..

وقالت السيدة بخبث :

– قد تكونين صادقة، ولكنى لن أقتنع بصدقك إلا إذا عرفت من تعنين !

وقالت ليزيتا فى تهور :

– الملاك جبريل..

وكتمت الصديقة ضحكتها الساخرة، ثم خرجت تذيع القصة فى كل أنحاء فينيسيا، حتى وصلت إلى عائلة ليزيتا فقرر رجال العائلة أن يتربصوا حتى يقبضوا على عشيق ليزيتا الذى يدعى أنه الملاك جبريل..

واختبأ أحد رجال العائلة فى البيت.. وجاء ألبرتو فى ثوب ملاك.. وما كاد يضع نفسه فى الفراش بجانب ليزيتا، حتى خرج الرجل عليه.. فانتفض ألبرتو، وأسرع وألقى بنفسه من النافذة وسقط فى القنال التى تمر تحت البيت..

ولم يستطع الرجل أن يلمح وجه ألبرتو.. فخرج وراءه وجمع المدينة كلها فى البحث عنه.. ولكن ألبرتو غطس فى القنال، وسبح حتى خرج فى مكان مهجور هادىء.. ووجد هناك كوخا فقيرا لجأ إليه..

وفى الصباح خرج صاحب الكوخ وذهب إلى المدينة فسمع

هناك قصة الملاك جبريل، واستنتج أن الرجل الذى لجأ إليه ليلة أمس هو نفس الرجل الذى تبحث عنه المدينة.. فعاد إليه، وظل يساومه حتى اعترف له الأب ألبرتو بالحقيقة، ثم اتفق معه على أن يدفع له خمسمائة جنيه نظير تسهيل هربه من المدينة..

وأرسل ألبرتو من أتى بالخمسمائة جنيه وأعطاها للرجل.. ثم بدأ الرجل يعد له خطة الهرب..

وكانت الخطة أن يتنكر ألبرتو فى شكل دب، ويصحبه الرجل مقيدا بسلسلة فى عنقه حتى يخرج به من المدينة..

وأتى الرجل برأس دب ووضعه على وجه ألبرتو.. ثم دهن جسده بالعسل ولصق به كثيرا من الشعر، ثم ربط سلسلة غليظة فى عنقه، وجره إلى المدينة وهناك ربطه فى عمود فى أكبر الميادين.. والتف الناس.. وألبرتو واقف يتحمل قرصات الحشرات التى تجمعت فوق العسل الذى دهن به جسده..

ثم صاح الرجل :

– هل تعلمون من هذا الدب.. إنه الملاك جبريل !

ونزع الرجل رأس الدب.. وعرف الناس الأب ألبرتو.. فأخذوا يصفعونه ويقذفونه بالطوب والقاذورات إلى أن أتى رجال الكنيسة وقبضوا عليه، ثم حاكموه، وحكموا عليه بالسجن مدى الحياة..

هذه قصة كتبت منذ ستمائة عام، وما زلنا إلى اليوم نكتب قصصا عن الشيخ متلوف، ولا تزال المحاكم تنظر فى قضايا النصابين الذين يرتدون زى رجال الدين..

٩

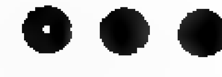
السافل !

إن شخصيات البنات التى نرسمها فى قصصنا ليست شخصيات جديدة، إنها كلها شخصيات عاشت فى قصص أخرى كتبت منذ مئات السنين.. وقد بدأت أقتنع أن الشخصيات الإنسانية لا تتغير على مر التاريخ، إنما الذى يتغير هو البيئة، والمجتمع، ووسائل الحياة.. إن البنت التى هربت مع الشاطر حسن على ظهر حصان، فى قصص ألف ليلة وليلة، هى نفسها البنت التى تهرب هذه الأيام مع حبيبها فى سيارة موديل ٥٨.. والشاب الذى كان يصعد إلى شرفة حبيبته على سلم من الحبال فى قصة روميو وجولييت، هو نفس الشاب الذى يصعد إلى حبيبته هذه الأيام فى أسانسير !!

وسأقدم لكم شخصية فتاة فى قصة صينيه كتبت منذ أكثر من مائتى عام، وسترون أن هذه الفتاة لا تزال تعيش معنا..

وأن القصة كأنها كتبت اليوم..

الفتـاة اسمهـا « انجنج ».. والقصة اسـمها : « فى الحـجرة الغربية »



« يوان » شاب فـى الثانيـة والعشريـن من عمره.. كـان فى طريقة إلى العاصمة للالتحـاق بالجامعة ونيل شهادة فى الأدب.. وعند منحنى النهر الأصفر الكبير مر على قرية بوتشنج لزيارة صديق له من أصدقاء الطفولة..

كانت القـرية هادئة، جميلة كأنهـا عش العصافيـر..تحوطها سهول شاسعة كـأنها بحور خضراء تموج برائحة الورد وزهر المشمـش، وتطل عليهـا قمم الجبـال كأنهـا رؤوس جمـاعة من الحكماء جللت بالشعر الأبيض..

وكان الصديقان يخرجان كل عصر، ويسيران وسط السهل حتى يصلا إلى معبد « بتشيو » الذى يقع قريبا من القرية..

وأعجب « يـوان » بالمعبد.. إنه مـعبـد كبـير بنى فى عـصر الإمبـراطورة « وو » وطليت جـدرانه باللون الأصفـر.. وزينت برسوم من الفـضة.. وكان يحـتوى على عدة غرف خـصصت للنزلاء من الحجاج.. ورغم أن الموسم لم يكن موسم الحج، فقد استطاع « يوان » أن يـقنع رهبان المعبـد بأن يؤجروا له غـرفة يقضى فيها بضعة أسابيع قبل أن يكمل طريقه إلى الجامعة..

كـانت حجرة بسـيطـة.. عاريـة تقريبـا من الأثاث.. ولكن « يوان » فرح بهـا، وقرر أن يعـيش فيهـا بين كتب الشـعر الذى حملها معه.. عيشـة الرهبان.. وقد كان « يوان » دائما أقرب إلى

الرهبان.. إنه نحيل، مريح التقاطيع، وهو شاعر.. ولم تكن فى حياته مغامرات، خصوصا المغامرات النسائية.. لقد كان يهتز لجمال البنات.. اهتزاز الشاعر.. ولكن لم تستطع أى بنت أن تجذبه من عزلته ومن عالم الشعر الذى يعيش فيه..

وبعد ليال ثلاث، سمع « يوان » أنغاما موسيقية جميلة حزينة، هادئة، تنبعث من قريب، وتسرى فى طيات الليل لتهمس فى أذنه.. وتنبهت حواس « يوان » كلها.. خيل إليه أن موكب الآلهة يقترب منه.. ولكن فجأة سكت النغم الجميل، وهدأ الليل من حوله..

وقام فى الصباح يبحث عن مصدر النغم.. فاكتشف أن هناك بيتا يلاصق المعبد، ويفصله عنه حائط عال لا يستطيع أن يرى ماوراءه.. وفى الحائط باب من الخشب السميك.. مغلق كأنه ظل مغلقا منذ بدء الحياة..

ولم يستطع « يوان » أن يعرف أو يرى أحدا من سكان البيت.. وعاد إلى غرفته فى المعبد، والنغم الحزين الهادئ لا يزال يهمس فى خياله..

ومرت أيام.. ثم حدث شئ فى القرية المجاورة.. لقد تمرد فريق من الجنود بعد موت قائدهم، وانطلقوا فى بيوت القرية ينهبون، ويقتلون، ويخطفون النساء..

وكان «يوان» جالسا فى حديقة المعبد، عندما فتح فجأة الباب السميك في الحائط الذى يفصل الباب عن المعبد..

وخرجت منه ثلاث نساء على وجوههن هلع.. تتقدمهن سيدة فى ثياب غالية.. لا بد أنها الأم.. وخلفها فتاة فى السابعة عشرة

فى ثوب بسيط، لونه أزرق غـامق، وشعرها مـلقى خلف ظهرها كوشاح من الليل، وقد ربطته بمشبك كبير.. لا بد أنها الابنة.. إنها هى نفـسهـا التى كانت تعـزف النغم الحزين الهـادئ.. والثالـثة، كانت الوصيفة..

والتجأ النساء الثلاثة إلى رهبان المعبد، وقالت الأم فى فزع :

– سنلتـجىء هنا.. إن المتـمردين لا يمكن أن يـعتـدوا علينا ونحن داخل المعبد..

وقالت الفتاة فى صوت هادىء.. وهى متمالكة لكل أعصابها ورأسها مرفوع فى كبرياء :

– لا يا أماه.. يجب أن نبقى فى البيت.. لو تركنـاه فسيغرى اللصوص بالســرقة.. وإذا حدث شىء، فـإننا نستطيع أن نكون هنا فى بضع ثوان..

ووجدها « يوان » فرصــة مناسبة ليقدم نفـسه إلى العائلة، فتقدم قائلا :

– الآنســة على حق.. وإن لى أصدقــاء فى القرية، ســأذهب إليهم لآتى إليكم بحرس خاص..

ولم ينظر إلى الآنســة.. ولم تنظر إليـه الآنســة.. وذهب إلى القرية، وعاد فى المساء ومعه ستة من الجنود النظاميين، وإنذار من قائدهم للمـتمردين بشنق كل من يعتـدى منهم على البيت.. ومرت أيام..وانتهت حالة التـمرد.. ودعت الأم « يوان » إلى البيت لتشكره على حـمايته لهم.. كانت دعوة رســمية.. استـقبلته فى البهو الكبير، وقدمت له ابنها الصغير..

ثم صاحت تنادى ابنتــها : « انجنج.. انجنج ».. ولكن انجنج

لم تظهر.. فقد كان من عادة بنات العائلات الأرستقراطية، أن يتمنعن طويلا قبل أن يظهرن أمام الضيوف.. وعادت الأم تنادى « انجنج.. تعالى اشكرى الضيف الذى أنقذنا.. ليست هذه مناسبة للتمنع »..

وأخيرا دخلت انجنج.. فى حياء، ولكن فى كبرياء.. وحيّت الضيف من بعيد، ثم جلست بجانب أمها كما تقضى التقاليد.. ونظر إليها « يوان » طويلا.. إلى بشرتها الناعمة كالحرير، وفمها الصغير، وعينيها المشروطتين.. إن فيها شيئا أكثر من الجمال.. هذا الكبرياء، وهذا الهدوء.. ولم تنظر إليه « انجنج ».. إن أى فتاة تجلس مع شاب لا بد أن تنظر إليه ولو من طرف خفى، أو على الأقل يفضح وجهها إحساسها بوجوده.. ولكن هذه الفتاة لا يبدو عليها شىء.. لا شىء إطلاقا.. إنها حتى لا تتكلم.. وفشل « يوان » فى أن يجرها إلى أى حديث..

وبعد ذلك حاول « يوان » أن يزور العائلة مرة أخرى.. وقد زارهم مرة، ومرتين، ولكنه كان لا يلتقى إلا بالأم.. لم يستطع أن يلمح انجنج.. إنما كان أحيانا يسمع صوتها وهى تلاعب أخاها الصغير..

ثم التقى مرة بالوصيفة خارجة من البيت، وصارحها باهتمامه بانجنج، ورجاها أن تدبر له لقاء معها..

– أرجوك.. أتوسل إليك أن تساعدينى !

وقالت الوصيفة فى حزم :

السـافل !

- إنى لا أجـرؤ على أن احـمل لهـا مـثـل هذا الكلام.. إنهـا شريفة محافظة.. إنها لم تحادث أبدا شابا من الشباب..

وكاد « يوان » ييأس، ولكن الوصيفة استطردت قائلة :

- إنك شـاب مهذب.. وأنـا معجـبة بـك.. وسأقول لـك سرا يهمك : إنها تكتب وتـقرأ الشعر، فلماذا لا تكتب لهـا شعرا.. إن هذه هى الوسيلة الوحيدة إليها..

وفى اليوم التـالى أرسل إليهـا « يوان » قصيـدة طويلة من الشعر، عن طريق الوصيفة :

« لقد ضاعت روحى وراء خيالك..

« وارتعشت بأملى الشاحب..

« أملى فى أرى يوما ابتسامتك..

وفى المساء عادت الوصيفة بالرد.. شعرا :

« إن شخصا ينتظر والقمر بدرا..

« فى الحجرة الغربية.. والباب مفتوح !

« والأغصان فوق الحائط تهتز..

« لعل حبيبى قد جاء !!

وكاد « يوان » يـطير من الفرح وهـو يقرأ هذه الأبيـات إنها تدعوه عندمـا يصبح القمر بدرا، وتطلب منه أن يتـسلق السـور، ويقابلها فى الغرفة الغربية !!

وانتظر « يوان » إلى أن اكـتـمل القـمـر.. وتسلق السـور.. ووجد باب الغـرفة مفتـوحا نصف فتـحة.. ولكنه لم يجد فيـها

سوى الوصيفـة.. وانتظر.. انتظر طويلا.. وأخيرا دخلت انجنج مـرفوعـة الرأس فى كـبرياء، ووجـهـها مـرتبك وفى عـينيهـا غمـوض.. ثم قالت كأنها تلقى قطعة مـحفوظات حفظتها صم :

« لقد دعوتك يامستر يوان، لأنك أردت مقابلتى، ولأنى أردت أن أشكرك بنفسى على حمايتك لنا أثناء الاضطرابات.. ولكنى أحب أن أقـول لك إنى دهشت لإرسـالك أشـعـارا غـرامـيـة لى مع الوصيـفة.. هذه الأشـعار التى لا يمكن أن أجعـل أمى تقرأها.. أرجــوك أن تـكف عن هذا الـسلوك.. وأن تـنـزع من رأسك أن مقابلتنا هذه يمكن أن يكون لها معنى آخر.. وتصبح على خير » !

ووقف « يوان » فـاغرا فمـه كالأبله.. وقـبل أن يهم بالكلام كانت انجنج قد اختفت داخل البيت !

وعاد « يوان » يـتسلق الســور إلى المعبد، وهـو غاضب.. لا يفــهم.. ويلعن هذه النزوات النسائيـة.. إنها تســخر منه.. إنــها أهانته.. وكاد حبه ينقلب إلى كراهية..

ومرت ليلتان..

وكان « يوان » نـائما فى فـراشه، واستـيقظ على يـد تهزه، ورأى أمامه الوصيفة تهمس فى صوت مثير :

– استيقظ إنها آتية..

وخرجت الوصيـفة، وعادت بعد برهة ومعـها انجنج.. كانت خجلة، متـرددة، بلا كبرياء، وبلا إرادة.. وشعرها مـسدل فوق كتفيها.. وجسدها كالظلال خلف غـلالة رقيقة.. وكانت ضعيفة،

تكاد تستند على وصيفتها وهى تسير..

ولم يتكلما.. لم تكن هناك حاجـة إلى الكلام.. لقد استسلمت بمحض إرادتها.. استـسلمت فجأة، وبعد انتظار، كـأنها الشمس ضاقت بالليل فشقت أستاره.. وحـملت الوصيفة وسادة خاصة وضعتـها فوق السرير.. ثم انســحبت، والتقت الشـفاه.. وكانت ضعيفة.. فما لبثت أن سقطت فى أحضانه.. فوق السرير..

ودقت أجراس المعبـد تعلن بزوغ الشمس، فدخلت الوصــيفة، لتعود بسيدتها..

وجلس « يوان » كأنه أفاق من حلـم.. إنه لم يشعر أبدا بمثل هذه السعــادة.. ولكن، لماذا استسلمت.. إنهـا لم تحادثه.. لم تتكلم كلمــة واحـدة طول الـليل.. لم تقل له لماذا اسـتـســلمت.. هل هو الحب، أم هى نزوة !

وعاش « يوان » كـل ليلة فى انتظار حبـيبـته.. وكان يـعبق حجرته بدخان العطر فى انتظارها.. ولكنها لم تأت

وبدأ يجن.. إنه لم يعد يطيـق أن يعيش إلا فى انتظارها.. إنه لا يسـتطيع أن يقرأ.. ولا يأكل، ولا يـختلط بأصـدقائه.. فـقط ينتظرها، وعندما لا تأتى.. يجن !

ومضى أسـبوعـان، لم يحاول خلالهـا أن يتصل بهـا، فقط ينتظرها.. ثم لم يعـد يطيق، فذهب إلى البـيت، واستقـبلته الأم مرحبـة، وجاءت انجنج.. رأسها مـرفوع فى كبرياء.. ووجــهها صامت، لا يبدو عليه شىء من حبهما ولا من نزوتها..

وخرج، كأنهما لم يلتقـيا أبدا.. وأخذ يبكى أشعارا ويرسلها إليها.. وفى ليلة سـمع صوت الباب المثبت فى الحـائط يتحرك.. فأسرع إليه.. إنها الوصيفة.. وهى تبلغـه أن سيدتها ستستقبله فى الحـجرة الغـربية.. لقـد صنعت مفـتاحـا للباب الخـارجى، وأعدت الباب الداخلـى بحيث يبدو مغلقا، ولكـن لو دفعه برفق فسينفتح، و..

وذهب « يوان » والتقى بها، وذابا روحين وجسدين.. ودقت أجراس المعبد تعلن بزوغ الفجر.. فعاد

وأصبح يذهب كل ليلة.. وعرف أنها تحـبه لم يكن يعتقد أن هذا الجـسد الصـغيـر يمكن أن يجـمع كل هذا الحب.. ولم تكن انجنج تأسف على مـا تفـعله.. كانت تفـعله بكل وعـيهـا، وكل اقتناعها.. ولم تكن تعتبر حبها خطيئة..

وسألها :

– ماذا لو عرفت أمك ؟

قالت وهى هادئة الأعصاب كعادتها :

– لا شىء.. ستطلب منك أن تتزوجنى !

وحـانت ساعـة الفراق.. وكـان يجب أن يذهب « يوان » إلى المدينة ليلتحق بالجامعة.. ولم تهـتز انجنج لفراقه.. كانت واثقة من نفسـها.. واثقة من أنه سيعود إليها..

وقد عـاد فى زيارة قصيرة.. ودعـته الأم للإقامـة فى البيت.. وأصبح يعيش مع انجنج طول النهـار.. وفى الليل.. يلتقيان فى

الغرفة الغربية.. وأصبح معروفا فى العائلة أنه سيتزوجها..

وحان الفراق مرة ثانية.. وجزعت الأم، ولكن انجنج كانت واثقة من نفسها، إنها تقول لأمها : « لا تجزعى.. سيعود.. سيعود » !!

ولم يعد « يوان »..

كان يرسل لها خطابات.. ثم بدأت خطاباته تتباعد وتفتر. ومضت مدة طويلة، لم يرسل فيها خطابا.. وانجنج لا تزال واثقة من نفسها.. لعله يذاكر دروسه.. لعله يخجل من أن يتصل بها بعد أن رسب فى الامتحان.. وسيعود إليها بعد أن ينجح فى الملحق..

ثم تسلمت منه خطابا غريبا.. إنه يودعها.. يودع حبهما وسعادتهما.. ويقول إنه لا يريدها أن تنتظره.. ولا يريد أن يخدعها.. ومن الأفضل أن يعلنها بالانفصال..

وتتمالك انجنج كل أعصابها.. إنها لا تزال قوية.. وتكتب إليه خطابا طويلا هادئا، تناقشه فيه بمنطق رقيق.. « إذا صنت وعدك.. فأنت تعلم أنى أحبك إلى الأبد.. وإذا خنت وعدك، وشغلت بالجديد عن القديم، فأنت تعلم أيضا أنى أحبك إلى الأبد.. كل ما هنالك أنك ستضيف إلى حبى مرارة الأسف.. »

وتعطى الخطاب لصديقه ليحمله إليه.. ويسافر الصديق إلى المدينة، وهناك يكتشف أن « يوان » على علاقة بامرأة أخرى فيصرخ فى وجهه :

– أنت سـافل.. أنت أنانى..

ويصيح « يوان » :

– لقد كانت عـلاقتى بها خطأ.. وعندما اكـتشفت أنى أخطأت، فالطريقة الوحيدة هـى أن أكف عن الخطأ..

ويصرخ صديقه :

– أخطأت !! إنها قـد تكون خطيئة بالنسبـة لك، ولكنها حب بالنسبة للفتاة !!

ويعود الصـديق دون أن يحمل ردا من « يوان ».. إن « يوان » ليس إنسـانا سافـلا، ولكنه إنسـان ضـعيف.. أضـعف من أن يحمى حبه من إغراء المدينة، ونساء المدينة..

وتصرخ الأم عندما تسمع موقف « يوان »..

ولا تتـحـرك « انجنج ».. إن رأسـها لا يـزال مرفـوعـا فى كـبـرياء.. وتـتـرك الحـجـرة فى هدوء، ثم يسـمع الصـديق ضحكتها.. ضحكة حادة صارخة، كأنها أصوات قرقعة سكاكين تنحر فى زورها..

وفى اليـوم التالى ترضى انجنج بالزواج من أحـد أقاربـها، الذى كان يلـح فى زواجها منذ زمن طـويل.. وتعلن خطبتـها.. وتتزوج فى العام التالى..

وبعـد عام آخـر.. يأتى « يوان » ويطلب مـقـابلة « انجنج » بصفته صديقا للعائلة، ولكنها ترفض أن تقابله، وما يكاد يبتعد بضع خطوات عن البيت، حتى تخرج « انجنج » وراءه صارخة :

– لماذا جئت تضايقنى ؟ لقد انتظرتك طويلا ولم تعد.. ولم يعد بيننا ما يصلح للكلام.. لقد شفيت من حبى.. شفيت.. فاذهب.. ابعد من هنا.. ولا تدعنى أراك مرة ثانية..

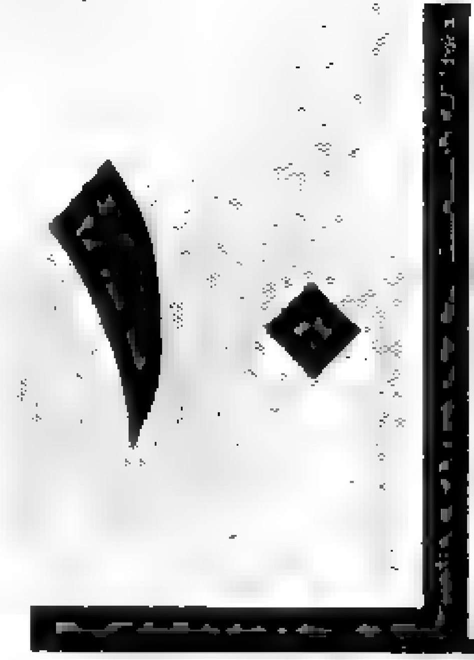
واحنى « يوان » رأسه، وابتعد..

وسقطت « انجنج » مغشيا عليها..



بقي شيء..

هذه القصة كتبها شاعر صينى مشهور اسمه « يوان شن ».. وقد قيل إن هذه القصة هى قصة حياته.. قصة حبه الأول.. وأنه البطل الحقيقى لها.. البطل السافل.. تماما كما يقال عنى أنى بطل كل قصصى..



١٠ راهبة..

عشت ثلاث ليال بين كتابات كلها تنتقد رجال الدين..

كنت أقرأ مجموعة قصص لبلزاك.. وبلزاك يهاجم رجال الدين فى قصصه، بمناسبة وبلا مناسبة.. إنه يكتب عندما يصف رجلا خبيثا : « إنه أخبث من عشرة قسس ».. أو « إنه منافق كالكردينال.. » !

وشبعت من قراءة بلزاك ونقده لرجال الدين وأمسكت بمجموعة قصص من الأدب الصينى القديم.. فإذا بأدباء الصين أيضا ينتقدون رجال الدين فى قسوة.. رغم أنهم عاشوا وكتبوا قبل الشيوعية !

واقرأوا معى هذه القصة.. قصة اسمها « مدام د.. » !



عيد الفوانيس بمدينة عانتشو فى جنوب الصين..

الشوارع مزدحمة.. والفوانيس الكبيرة المصنوعة من الورق

الملون تملأ الفضاء.. ومـقاصير الطبـقة الأرستقراطيـة مصطفة على الجـانبـين.. والأنظار فى الشـارع الكبـيـر ملتـفـة حـول مقصورة نائب الإمبراطور..

ونائب الإمـبراطـور معـروف فى المدينة بأنه « زوج مـدام د » ومـدام د. هى أجمل سـيدات المدينـة.. بل أجمل سـيدات الصـين.. ليست أجـملهن وجها فـحسب، إنها أجملهن خـلقا.. رقيقـة، عاقلة، متواضعة، متحمسة لوطنها.. تعطف على الفقراء.. وعلى الثوار !!

وجاءت مـدام د. على هودج يحمله أربعة رجـال.. فى ثوب بسيط، وحلى بسيطة.. مشـبك من اللؤلؤ فى شعرها، ودبوس من اللؤلؤ فى صدرها.. إن السيدة الجميلة لا تحتاج إلى حلى كثيرة !

وجلست السيدة د. فى مقصورتها. وبجانبها ولدها وابنتها، وخلفها وقفت وصيفتها.. والمواكب تمر فى الشـارع وتبطىء فى سيـرها كلما مـرت من أمام مـدام د. حتى ترتوى العـيون من جمالها..

وهمست سيدة من المقصورة المجاورة فى أذن مدام د..

– أين زوجك المحترم ؟

وكتمت الزوجة ألما فى قلبها، وقالت فى هدوء وابتسامتها لا تزال بين شفتيها :

إنه فى اجـتـمـاع هام.. ولولا ذلك لـكان هنا.. إنه يفـرح بالفوانيس كالأطفال !

وبعد قليل صاح ابنها :

– متى يأتى والدى ؟

وأزاحت مدام د. سحابة مرت على وجهها الجميل وقالت :

- إن والدك مشغول..

لم يكن من عادة مدام د. أن تتحدث عن متاعبها لأحد.. إنها تحتفظ بالشقاء لنفسها ولا تهب الناس إلا صورا من السعادة.. حتى لو كانت صورا وهمية..

ومـرت فى تلك اللحظـة الأخت تشنج.. راهبـة من راهبـات المعبـد.. وكانت الراهـبات فى ذلك الوقت لهن حـرية التنقل بين بيوت الطبقة الأرستقـراطية.. واستطعن بهذه الحرية أن يعرفن كثيرا من أسرار البيـوت.. وأصبحن يؤدين بعض المهام بجانب مهمـة منح البركات السماوية.. كن ينقلن الرســائل بين العشاق.. ويحددن مـواعيد الغرام.. بل كن يقـمن بعمل الدلالات، فيـبعن الحلى الغالية للسيدات لقاء عمولة يدفعها التاجر..

وقالت الراهبة لمدام د. :

- أين زوجك الموقر ؟

ولم تستطع مدام د. أن تكذب كذبا صريحا على الراهبة، فقالت :

- إنى لا أعرف أين هو ؟

وقالت الراهبة :

- إنى آسفة لك ؟!

وقالت مدام د. فى حدة :

- ولكنه سيأتى.. لا بد أن يأتى !

وعادت الراهبة تقول :

- إنى آسفة لك..

ثم نظرت إلى مشبك اللؤلؤ فى شعر مدام د. واستطردت :

- إن المشبك قد ازداد جمالا فوق شعرك !

وكانت الراهبة هى التى باعت هذا المشبك لمدام « د »..

وقالت الزوجة :

- إنه مشبك جميل.. أرجوك إن وجدت سوارا من اللؤلؤ أن تحمليه إلىّ فورا..

وكانت نقطة الضعف الوحيدة فى مدام د. هى.. اللؤلؤ !

وأخيرا جاء الزوج.. طويلا، رفيعا، أنيقا، حاجباه معقدان دائما كأن وراءه دائما أمراً خطيراً.. وكان يبدو فوق شفتيه شاربه الدقيق، كأنه أحد فلاسفة ذلك الوقت، لم يكن جميلا، ولم يكن أيضا قبيحا..

ولم يتكلم الزوج، ولا الزوجة.. جلسا وبين شفتى كل منهما ابتسامة يخدعان بها عيون الناس، عن شقائهما..

وانتهى الاحتفال، وعادت العائلة إلى البيت.. ودخل الزوج إلى غرفة زوجته قائلا :

- آسف لتأخيرى.. لقد ألقى فريق من الثوار بعض المنشورات أثناء الاحتفال فاضطررت أن..

وقاطعته الزوجة الجميلة قائلة فى حدة :

- هل قبضت عليهم.. هل قتلتهم جميعا.. إنهم يستحقون الموت بلا شك لأنهم يطالبون بالحرية.. يطالبون بخروج المستعمرين، وسقوط هذه الوزارة التى تضم جثثا تعيش فى قبر الاستعمار..

ونظر إليها الزوج فى صمت ثم قال :

- إنى لا أستطيع أن أفهمك.. ماذا تريدين أكثر مما نحن فيه.. منصب كبير، وثراء ونفوذ.. إنى لا أستطيع أن أفهمك..

وقالت الزوجة :

– ولن تفهمنى أبدا..

قال :

– إن مــا أفهـمــه هو أن النســاء يجب أن يبـقين بـعيـدا عن السياسة ! وخرج الزوج إلى غرفته..

ومنذ زمن طويل، وكل منهما ينام فى غرفة خاصة..

ورقدت الزوجــة الجمـيلة على فراشــها، والبـرودة تزحف على قلبها.. لقد فقدت حبها لزوجها.. لقد تزوجته وهى تحبه.. لم تحبه.. لم تحبه تماما، ولكنه كـان يعجبها، وكانت تأمل أن تحــبه يوما ما.. ولكن بعد الشهور الأولى من الزواج اكتشفت حقيقته.. إنه وصولى يبيع أى شىء وكل شىء فى سبـيل منصب أو جاه.. وقد وجد أن أقرب طريق لـلوصول هو أن ينضم إلى الأحـزاب الرجعيــة ويقف ضــد الشــعب.. وقــد وصل فـعلا عــن هذا الطريق، وأصــبح نائب الإمبرطور.. ولكنه خرج من قلب زوجته.. أصبحت تتقزز منه ومن أطماعه وبطشــه بالوطنيين.. وحاول هو أن يظل قريبــا من زوجته، ولكنه لم يستطع أن يتغلب على قرفها منه، فابتعد، وأصبح يمضى لياليه مع الراقصات والأولاد..

ولم تندفع الزوجة نحو الخطيئــة.. ظلت فى حرمانها طاهرة نظيفة محبوبة من الناس..

وجاءت الراهبة هوتشنج تزورها، وأخرجت من جيـبها عقد اللؤلؤ الغالى الجميل، ولوحت به أمام عينى الزوجة..

والتقطت الزوجة العقد مبهورة العينين واحتضنته بين يديها :

– إنه جميل.. إنه رائع.. كم يساوى ؟

وقالت الراهبة فى خبث :

– ستة آلاف جنيه..

وقالت الزوجة فى حسرة :

– إنه مبلغ كبير، لا أستطيع أن أدفعه..

وقالت الراهبة :

– إن صاحبــه مستعـد أن يتنازل عن جزء كبيـر من الثمن، بشرط أن تؤدى له خدمة..

وقالت الزوجة :

– خدمة.. أى خدمة !

وقالت الراهبة وهى تدارى عينيها :

– إن صاحب العقـد ليس تاجرا.. إنه موظف كبير، وقـد فقد وظيفته، ويريد أن يعود إليها..

وقالت الزوجة :

– ولكنك تعلمين أنى لا أتدخل فى مثل هذه الشئون..

وقالت الراهبة :

– إنه يرجو أن يقابلك ليشرح لك حالته..

وصرخت الزوجة :

– مستحيل.. مستحيل !

ويســتمـر الحوار بين الراهبــة والزوجة.. وأخـيرا تضــعف الزوجة أمــام إغراء حـبات اللؤلؤ، وترضى أن تقـابل الموظف.. إنها ستـذهب إلى المعبد فى ذكرى وفاة أختـها، وهناك تستطيع أن تقابله.. بضع دقائق فقط !

وتذهب الزوجة إلــى المعبد.. ولكن الرجل ليـس هناك وتقول

لها الراهبة أنه من المســتحيل أن تقابله فى المعـبد أمام المصلين، ثم تقنعهـا بأن تصحبها إلى بـيته.. بضع دقائق فقـط.. كلمتان فقط..

وتذهب الزوجة..

إنه بيت كـبيـر.. وحديقـة جـميلة.. وشـاب رائع.. طويل أنيق، مهيب.. فى عينيه حب، وفى شفتيه حب، وعلى وجنتيه حب..

وهو ليس موظفا..

إنه أحد زعماء الطلبة الثائرين على المستعمرين..

ويدور بينـهما حديث كالحلم :

– لقد كنت مستعدا يا سيـدتى أن أضحى بعمرى فى سبيل لحظة ألقاك فيها..

– إلى هذا الحد ؟!

– إلى حد أنى لم أصـــدق الراهبة عندما قالت إنك ســتأتين.. وما زلت لا أصدق أنك قد أتيت..

– لابد أنك منحت الراهبة رشوة ضخمة..

– إنها غلطتك يا سيدتى.. فقـد كان يكفينى أن أراك من بعيد فى الشـــارع.. ولكنك لا تخـرجـين إلى الشـــارع أبدا، ربما لأنك تعرفين أن كل من يراك يحبك..

ويستمر الحوار.. ويلتقيان فى عواطفهما الوطنية.. ثم يلتقى قلباهما.. وتهم الزوجة بالخروج، ولكنها تشعر بمرض مفاجىء، وتقع على الأرض مغشـيا عليها.. وتدخل الراهبـة وتحملها إلى سرير داخل البيت.. وعندما تفيق الزوجة تقول للراهبة :

– اذهبى إلى البيت.. قولى لهم إنى مرضت فجأة وسأضطر

إلى المبيت فى المعبد..

وتخرج الراهبة وهى تغمز بعينيها للشاب قائلة :

– مبروك عليك..

وتعود الزوجـة إلى بيتـها فى الصـباح التـالى بعد أن رأت الحب.. إنها منذ كانت فى السابعة عشرة من عمرها، لم تر مثل هذا الحب.. لم يلمسها أحد كما لمسـها هذا الشاب، ولم يسمعها أحد مـثل هذه الكلمات.. ولم تعرف أن أنفـاس الرجال يمكن أن تكون أنفاسا معطرة !

وبدأت قصة حب طويلة..

وأصـبـحت تسـعى إلى لقـائه بكل وسـيلة.. كـانت تخـاف زوجها، وتخاف الشائعات، ولكنها لم تعدم وسيلة..

ثم ادعت المرض وطلبت من زوجهـا أن يسمح لها بالانتـقال إلى بلدة أبيـها حتى تشـفى.. وهناك كانت تقـابل حبـيبـها بلا خوف..

وعادت عندما لم تعـد تستطيع أن تمد فى إقامتهـا بعيدا عن بيتها..

عادت حاملا..

ولاحظ زوجها أنها حامل، وقال ساخرا :

– يبدوا أنـك قضيت وقـتا جـميـلا فى بيت أبيك.. إن بطنك منتفخة !

وقالت :

– لا تقل هذا الكلام الفـارغ.. حـتى لو كنت حـاملا، فـأنت المسئول !

وقال الزوج وهو يكاد يجن :

– إنك تعلمين أنى لم أقربك منذ سنين..

قال :

– لقد عدت سكران فى إحدى الليالى..

قال :

– لا يمكن أن أكون سكران إلى هذا الحد..

ويفكر الزوج فى الطلاق.. ولكنه يعدل عنـه.. إن زوجته من عائلة كبيـرة، وهى محبوبة من الناس.. وطلاقها قـد يجر عليه المتاعب، ويعرقل مطامعه فى الحكم..

ويسكت.. ويبدأ فى البحث عن عشـيق زوجته فلا يعلم عنه، إلا أنه أحد زعماء الطلبة.. فيزداد بطشا بهم.. بكل الطلبة..

ويقوم الطلبـة بثورة.. ويقف عشـيق الزوجة يخطب « ليس بيننا اليـوم معـارضون ومـؤيدون.. ولكن بيننا شـرفاء وغـير شرفاء ».

ويقابل الزوج الثورة بكل بطشه وقسوته.. ويقبض على كل زعماء الطلبة ويأمر بإعدامهم..

والزوجة ملتـاعة، خائفـة على مصير عـشيقـها، وترسل له وصيفتها بكل أسرار ما تدبره الحكومة للثوار..

ويستطيع العشيق أن يهرب وقبل أن يغادر المدينة يذهب إلى الزوجة فى بيتـهـا متنكرا فى زى شـحاذ، فتـعطيه عـقد اللؤلؤ، ويقول لها :

– إنى لست فى حـاجة إليه.. إن مـعى ما يكفـينى من مال..

فتقول :

– خذه.. لقد جمعنا مرة، ولعله يجمعنا مرة ثانية..

ويهرب العشيق..

وتضع الزوجة ولدا جميلا، تحبه أكثر مما تحب أولادها من زوجها.. وتعيش ثلاث سنوات فى ذكرى حبيبها..

ثم يموت الإمبراطور..

ويتولى الحكم إمبراطور مؤمن بالحركة الوطنية، فيعزل الوزارة، ويقبض على الزوج ويأمر بإعدامه عقابا له على بطشه بالطلبة..

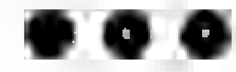
وتأتى الراهبة لتزور الزوجة، وتخرج من جيبها عقدا من اللؤلؤ تلوح به أمام عينيها :

– هل تريدين شراء هذا العقد ؟!

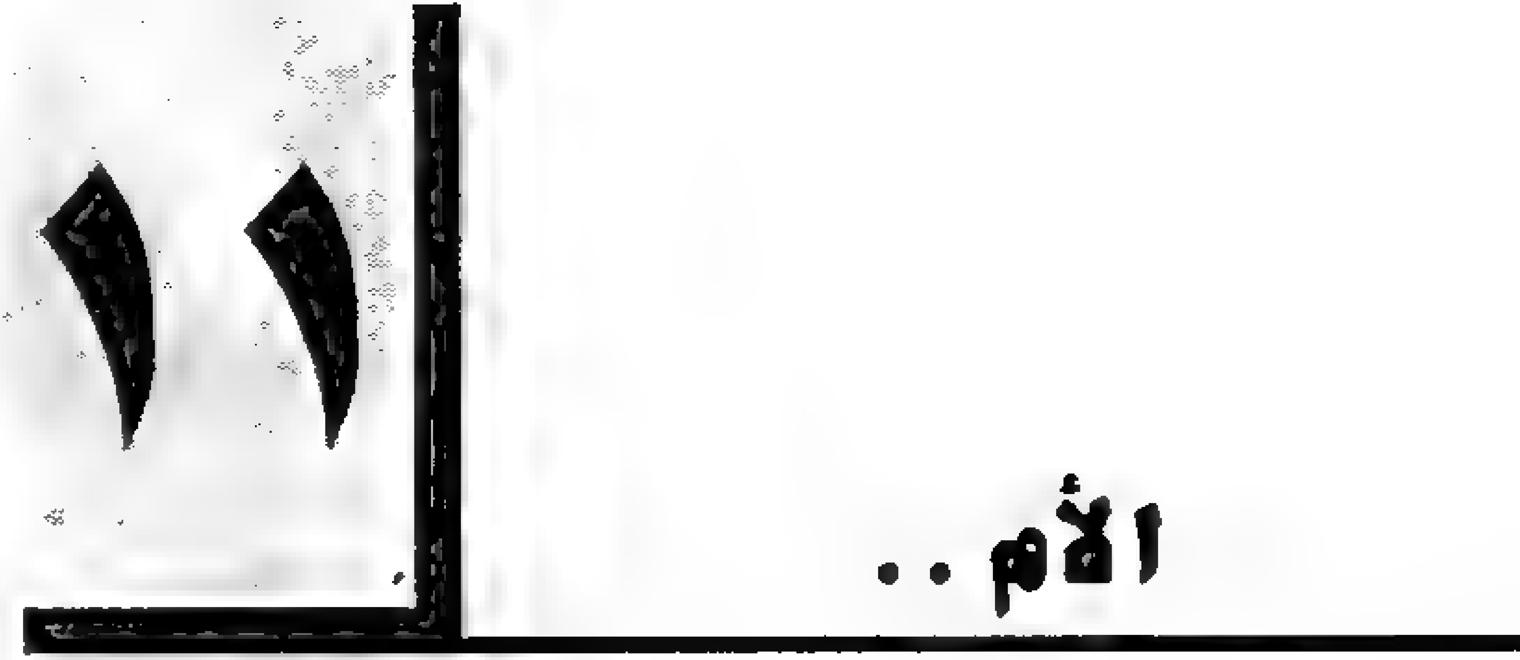
وتعلم الزوجة الأرملة أن حبيبها قد عاد.. عاد ليحتل مكان الزوج، ويصبح نائبا للإمبراطور..

ويعيشان فى التبات والنبات..

والفضل للراهبة..



إن المؤلف يؤكد أن هذه القصة حدثت فعلا.. منذ خمسمائة سنة !!



الأم..

إنى أحب القصص القصيرة جدا، والتى لا تستغرق أكثر من عمودين فى مجلة، أو صفحتين فى كتاب، أحب قراءتها، وأحب كتابتها.. إنها أشياء كالنجوم.. لامعة، براقة، جميلة.. تبدو صغيرة جدا، ولكنها فى حقيقتها كبيرة جدا، وعميقة..

وهذا النوع من القصص هو أصعب أنواع القصص على الكاتب، لأنها إما أن تكون سخيفة جدا، أو رائعة جدا.. ليس بينها قصص فى درجة مقبول.. أو فى درجة متوسطة.. إن هذه القصص لا تترك للكاتب مجالا للتغلب على ضعف الفكرة بجمال الأسلوب، أو التغلب على ضعف الأسلوب بجمال الفكرة..

وقد قرأت قصة قصيرة جدا للكاتب الأمريكى ويليام ساروريان.. والنقاد يضعون ساروريان بعد هيمنجواى مباشرة، بين كتاب القصة الأمريكية..

وعنوان القصة : الأم..



فى أحد أيام شهر يونيو رأى الفتاة التى تسكن فى البيت المواجه لبيته تنزل السلم فى خطوات بطيئة.. إنها من هذه الطبقة من الناس التى تتحرك ببطء وتعيش سنوات أطول.. شقراء، بسيطة.. على وجهها سعادة هادئة، كأنها شربت كوبا من السعادة قبل أن تنزل..

ودون تعمد منه وجد نفسه هو الآخر يسير فى خطوات بطيئة.. ووجد نفسه يصل إلى محطة الأتوبيس فى نفس اللحظة التى وصلت فيها إليها.. ثم وجد نفسه يحييها، ويحادثها عن جمال الجو وإشراق الصباح.. وردت عليه والسعادة ترقص فوق وجنتيها.. وتعجب وسأل نفسه عن السبب فى سعادتها إلى هذا الحد.. ربما كان الجو الصحو.. والربيع..

ولكنه فى شهر سبتمبر - أى بعد أربعة شهور - لاحظ أنها حامل.. وانطلقت صرخة الفزع فى أعماقه، فقد كان يعرف أنها تقيم وحدها فى إحدى الغرف المفروشة بالمنزل المواجه.. وقضى أسبوعا وهو يسائل نفسه هل يتركها للعذاب والألم والحيرة والفضيحة، أو أن هناك شيئا يستطيع أن يقدمه لها..

وفى المساء وجد نفسه يندفع إلى البيت المواجه وفى يده كتاب.. ونقر على بابها.. وعندما فتحت له، كان أول شىء

لاحظه أن بطنها قد انتفخت إلى الحد الذى لا تستطيع أن تداريه.. ورأى على وجهها شيئا لم يكن يراه وهو يقابلها فى الطريق.. ربما كان الارتباك أو الوحدة، أو الضيق.. واندهشت عندما رأته.. وقال فى صوت خفيض : لقد جئت لأقدم لك هذا الكتاب..

وعندما دخل إلى غرفتها، أحس بفراغ كبير.. إن الفراغ والوحدة أكبر من الغرفة نفسها.. وأحس بهذا الجو الذى يدفعك إلى أن تبحث عن علبة سجائرك وتشعل سيجارة.. وقد أشعل سيجارة وجلس يحادثها فى أمور عادية، كان يتعمد أن يبعد من حديثه كلمات العذاب والحيرة.. ولكنه أحس من نظراتها أنها تعرف أسباب زيارته لها.. وأحس أنها ترحب بهذه الزيارة.. ترحب بأن تتخذه رفيقا لآلامها.. إلى أن ينتهى الألم.. ولم يسألها شيئا.. ربما كان الرجل المسئول عن الجنين الذى فى أحشائها بعيدا.. ربما كان متزوجا.. أو ربما كان قد مات أو دهمته سيارة.. ماذا يهم.. المهم هى.. وقد رأى على وجهها من خلال خطوط الوحدة والعذاب ظلا من السعادة.. ليست سعادة.. ولكن شيئا أعمق من السعادة.. شىء فى داخلها.. شىء أشبه بزهو الخالق وهو يقوم بعملية الخلق.. إنها تخلق الحياة.. إن فى أحشائها حياة جديدة..

وأحس أنه ليس غريبا عنها، بل أحس أنه يعرف هذا الطفل الذى يكمن فى أحشائها.. وأن هناك صلة بينهما.. صلة الحياة.. حقيقة الحياة.. وكان سعيدا.. وأشعل سيجارة ثانية.. وتمنى أن

يقول لها لا تخجلى.. لا تعتبرى أن ما فى بطنك فضيحة.. لا تخافى.. أرجوك لا تخافى.. إن ملكة انجلترا عندما تحمل تتعذب مثلك، وربما أكثر.. ولكنه لم يقل شيئا..

وبمجرد أن تركها وخرج من غرفتها، أحس بهذه السعادة التى كان يشعر بها قد زايلته.. أحس بنفسه سخيفا.. بل بدأ يلوم الفتاة على خطيئتها.. وقرر ألا يزورها ثانية.

إن مثل هذه الحالات تحدث آلاف المرات كل ليلة.. آلاف الفتيات يحملن ويلدن ويتعذبن.. عذاب إعطاء الحياة لمخلوق جديد.. وآلاف الفتيات وحيدات.. خاطئات.. إنه لن يستطيع شيئا.. لن يستطيع شيئا..

ولكنها لا تزال فى رأسه.. إنه لا يستطيع أن يتجاهلها.. وصوت الجرامفون فى بيته يبدو حزينا كأنه يئن.. وفجأة وجد نفسه ينتفض من على مقعده ويهرع إلى الشارع، دون قبعة، ودون معطف، ووجهه مكفهر.. وفوجئت به يطرق الباب عليها.. وعندما أصبح فى غرفتها كان كل ما يفكر فيه أنه نسى علبة سجائره.. ثم تنبه إلى أنه يجب أن يتكلم.. فانطلق كالمجنون.. إزيك.. لا تخافى إنى سآتى لزيارتك كل ليلة إذا سمحت لى.. هل تريدين أن أتمشى معك فى الحديقة كل يوم أحد.. هل عندك مال كاف لتدفعى حساب المستشفى.. هل ذهبت إلى طبيب.. لا تخجلى من نفسك.. لا تعتبرى ما حدث لك فضيحة.. إن ما حدث لك يحدث لآلاف الفتيات كل ليلة.. إنك تستطيعين أن

تقولى لهم إنى أنا المسئول.. أنا أب الطفل.. سآتى لك بفونغراف وكثير من الأسطوانات.. إنك لا تحبين الموسيقى الكلاسك.. أليس كذلك.. سآتى لك بأسطوانات خفيفة.. موسيقى الجازبند.. هل تحبين مجلات السينما.. إنى أعلم أن البنات يعشقن قراءة القصص الغرامية سآتى لك بآلاف القصص الغرامية.. و.. وسكت فجأة.. أحس بنفسه سخيفا.. والتقط أنفاسه.. ثم قال : على كل حال كيف صحتك.. كيف تشعرين ؟..

قالت وهى تبكى : لقد طلبت منى صاحبة البيت أن أخرج من هنا.

وقفز من مقعده وهو يشعر بكراهية عجيبة لصاحبة البيت.. كل صاحبات البيوت.. هؤلاء النساء العوانس اللاتى يردن كل شىء بنظام.. الزوج، والزوجة، والابن.. كل شىء بنظام.. وصرخ : إنى لا أهتم بصاحبة البيت.. عليها اللعنة.. سأؤجر لك شقة كاملة.. إنى أملك مالا كثيرا.. وسآتى لك بفونغراف، وأسطوانات، وآلاف من القصص الغرامية..

ثم بدأ يروح ويغدو فى الغرفة كأسد فى قفص.

وقالت الفتاة وهى تبكى : إنى فكرت أن أذهب إلى بلدتى وأضع الطفل..

وصرخ.. لا.. إنك تريدين الطفل.. تريدينه أكثر من أى شىء آخر.. وسيكون كل شىء على ما يرام.. قلت لك : كل شىء سيكون على ما يرام.. قولى لهم إنى أب الطفل.. وبعد أن تلدى

نستطيع أن نتزوج.. إنى أحبك، ولعلك تحبيننى يوما.. وسآتى لك بفوتغراف.. وقصص غرامية.. و..

وظل يتكلم..

وعندما خرج من غرفتها أحس بنفسه سخيفا.. إنه يعرف إنه لا يحب الفتاة.. ولكن الموضوع ليس موضوع الحب.. إنه موضوع الطفل.. طفل على وشك أن ينزل إلى الحياة.. يارب.. لماذا لا يترك كل شيء ويختفي.. ماله ومال هذه المصيبة.. إنه لا يملك مالا ليؤجر شقة.. ولا يريد أن يتزوج.. ولا يحب الفتاة..

ورغم ذلك فبعد يومين ذهب واستأجر شقة صغيرة.. ثم عاد إلى الفتاة.. وطرق الباب.. ولم يفتح أحد.. وطرق خمس مرات، وفى كل مرة يشتد فى الطرق.. ولم يفتح أحد.. وبدأ يجن لابد أن شيئا قد حدث.. الله يلعن كل من يضايق الفتيات الحوامل.. وجاءت صاحبة البيت.. ونظرت إليه فى إمعان، وأحس فى نظرتها كأنها تتهمه.. تتهمه بأنه المسئول بأنه أب الطفل.. وأحس بالخوف.. لا يدرى لماذا.. ربما كانت صاحبة البيت على حق.. إن الفتيات الحوامل لهن مكان يلجأن إليه.. فى الملاجىء والمستشفيات.. ليس مكانهن بين الناس الشرفاء..

وقالت صاحبة البيت : هل أنت الرجل الذى تسكن فى المنزل المقابل..

واشتد الاتهام على وجه صاحبة البيت.. كأنها تريد أن تخنقه.. كأنها تقول له إنه المسئول عن فضيحة الفتاة وتطالبه

بأن ينقذها.. بل يتحمل مسئوليتها.

قال وصوته يرتعش :

– أين هى ؟

وقالت :

– لا أدرى.. ولكنها تركت لك هذا الخطاب.. وأعطته الخطاب ووجهها يسأله :

– هل أنت الرجل الذى..

وأجابها فى حدة :

– ربما أنا وربما لست أنا.. هل تعتقدين أن الحمل والولادة يختلفان فى حالة الزواج.. أيتها المرأة العفنة..

وفتح الخطاب.. وقرأ.. إنها ذهبت ولن يراها أبدا.. ولم يكن هناك توقيع.. وتذكر أنه لا يعرف اسمها كاملا.. إنه لا يعرف إلا أن اسمها « إستر ».. وسأل المرأة صاحبة البيت عن اسمها الكامل.. وأجابت أنها لا تدرى.. لقد كانت تسمى الفتاة نفسها « مس فارجاس » ولكنه لا شك اسم مختلق.

وعاد إلى بيته..

إنه لا يستطيع أن ينساها.. إنه فى كل لحظة يرى عذابها وآلامها وحيرتها.. وأخذ يبحث عنها كالمجنون.. فى كل مكان.. بكل الطرق.. ونشر إعلانا فى عمود « الخصوصيات » فى الصحف اليومية.. « إستر.. لقد أجرت الشقة.. لا تكونى عنيدة.. إنى أحبك – جو »

ولم يتلق ردا..

ومر شهر.. وشهران.. وثلاثة.. وأربعة.. وهو لا يزال يبحث عنها.. لا يستطيع أن ينساها.. وفى كل لحظة يرى عذابها وآلامها وحيرتها..

إلى أن كان يوم.. كان خارجا من عمله.. والشارع مزدحم.. آلاف من الناس خارجون من أعمالهم.. وفجأة صرخ بأعلى صوته :

– إستر..

والتفتت إليه.. ونظر إليها.. وأحس بالراحة.. إنها ليست حاملا.. إنها نشيطة.. وقد عادت إلى العمل.. ولكن.. إن فيها شيئا ميتا.. شيئا صغيرا.. نعم إن فيها طفلا ميتا لم ير الحياة.. وتبادلا بضع كلمات عادية.. وقالت :

– لقد قرأت إعلانك فى عمود الخصوصيات.. لقد كان جنونا منك أن تقول إنك تحبنى.

نعم.. إنه لم يحبها..

كان يحب الأمومة..

وافترقا.. إن الشارع مزدحم.. آلاف الناس..

١٢

قصة زنجى

هذه قصـة عن حيـاة الزنوج فى أمريكا.. لـيست قصـة تاريخية، ولكنهـا قصة من حـياة هذه الأيام.. ولم يكتـبها كـاتب زنجى، بل كاتب أمـريكى أبيض.. والكـاتب لـيس شـيـوعـيـا، ولـيــس مـن أعـداء أمريكـا، ولـكنـه « ارسكين كالدويل ». واحـد من أشهر كـتاب القصـة الأمريكية وأكثرهم رواجا..



ذهب « كريـستى » إلى القريـة التى تتوسط المزرعـة، وكان يركب فوق ظهر بغل، ويصـفر بشفتيه لحنا زنجيـا.. إنه سعيد.. فقـد قضى يومـه وهو يصنع قوالب الطوب ليـقيم منهـا سورا حول البيت الذى يقيم فيه.. وهو سـعيد لأنه أتم جزءا كبيرا من العمل..

ونزل كـريسـتى من فوق ظهـر البـغل، وربطه أمـام صف

قصة زنجى

الحوانيت فى الشارع الرئيسى الذى يشق القرية.. وسار متجها إلى مكتب صاحب المزرعة.. ثم تنبه وهو فى طريقه إلى أن زملاءه الزنوج يتجنبونه.. إن واحدا منهم مر به دون أن يحييه.. وآخر حاول أن يخفى وجهه عنه.. وتعجب كريستى.. لماذا يعامله زملاؤه هكذا.. ماذا حدث ؟.. لقد كانوا يظهرون له الحب، والاحترام، منذ انضم إليهم هو وزوجته ليعملا فى هذه المزرعة.. أى منذ ثلاثة أشهر..

ومر كريستى بصديقه « فروجى ».. وحاول فروجى أن يهرب منه، ولكن كريستى أمسك به من ذراعه، وصاح فى وجهه :

– لماذا تعاملنى أنت وباقى الرفاق هذه المعاملة الغريبة ؟

وصمت فروجى، فضغط كريستى على ذراعه، وعاد يصرخ :

– لماذا ؟

وقال فروجى فى صوت مرتعش :

– لقد أرسل السيد صاحب المزرعة فى طلبك.. أليس كذلك ؟

وقال كريستى :

– نعم أرسل يطلب مقابلتى.. وأعتقد أنه يريد أن يحادثنى عن حال المزرعة، ولكن ما دخل هذا فى..

وقبل أن يتم كلامه تملص فروجى من ذراعه، وأخذ يعدو بعيدا عنه..

قصة زنجي

وأكمل كريستي طريقه نحو مكتب صاحب المزرعة وهو في غاية الدهشة..

وكان كاتب الحسابات جالسا يقلب في دفاتره.. وشقيق صاحب المزرعة جالس على مقعد وقد رفع ساقيه ووضعهما على حافة النافذة..

ودخل كريستي.. وقام كاتب الحسابات واختفى وصاح شقيق صاحب المزرعة في احتقار :

تعال أيها الزنجي..

وأشار له على الغرفة الداخلية، فدخل كريستي إليها.. ثم انغلق الباب وراءه.. ووجد نفسه وحيدا.. فجلس على أحد المقاعد الخشبية، وهو يفكر.. ماذا يريد منه السيد.. لقد التحق بهذه المزرعة لأنه سمع أن السيد يدفع حصة أكبر من المحصول.. أكثر مما يحصل عليه الزنوج في المزارع الأخرى.. ولأن الأرض جيدة.. ولأنه مزارع نشط ولا يريد أن يكتفي بمجرد تكاليف الحياة، بل يريد أن يدبر بعض المال ليصنع شيئا يملكه..

وفجأة دخل السيد..

رجل طويل متغطرس، يرتدي ثياب ركوب الخيل..

وانتفض كريستي واقفا على قدميه، وقال في كلمات مرتعشة وهو يحني رأسه تحية للسيد :

- لقد خبرت الأرض يا سيدي.. إنها أرض جيدة.. ولو أعطيتني بغلا آخر، ومحراثا كبيرا، فإني أستطيع أن أنتج

ضعف المحصول الذى ينتجه أى مزارع آخر، و..

قاطعه السيد محتدا وهو يسير إلى وسط الغرفة :

– لقـد أرسلت فى طلبـك، ولم ترسل أنت فى طلـبى، أليس كذلك ؟

وقال كريستى فى أدب :

– نعم يا سيدى..

وصرخ السيد :

– إذن احتفظ بوجهك الأسود صـامتا إلى أن آمرك بالكلام.. ألم يعلموك الأدب حيث كنت قبل أن تأتى إلى هنا ؟

وقال كريستى فى ذلة :

– نعم يا سيدى..

وسادت فترة صمت، وبدأ كـريستى يستنتج لماذا تهرب منه زملاؤه عندما أرسل السيد فى طلبه..

وجلس السيد على مقعد، وأخرج من جيبه مطواة أخذ ينظف بها أظافره. ثم قال وهو لا ينظر إلى الزنجى :

– هل فى بيتك راديو ؟

قال كريستى :

– نعم ..

قال السيد :

– من أين حصلت عليه ؟

قال كريستى :

- اشتريته..

قال السيد :

- من أين حصلت على المال ؟

قال الزنجى :

- كان عندى بضعة دولارات، وزوجتى تربى بعض الفراخ وتبيعها.

قال السيد :

- لماذا لم تشتر الراديو من مخزن المزرعة ؟

قال الزنجى :

- لقد وجدته أرخص فى مخزن آخر..

قال السيد :

- إن الزنوج الذين يقيمون فى مزرعتى، يجب أن يشتروا كل شىء من مخزن المزرعة..

قال الزنجى :

- إننى لا أريد أن أشترى شيئا على الحساب يا سيدى..

أريد أن أخرج آخر الموسم بحصتى كاملة..

وساد الصمت مرة أخرى.. ومال كريستى مستندا على الحائط بعد أن تعب من الوقوف فصرخ فيه السيد :

- قف معتدلا أيها الزنجى..

واعتدل الزنجى فى وقفته واستطرد السيد :

- هل أخذت بعض القش والطين لتصنع سورا للبيت الذى

تقيم فيه.

قال الزنجى :

– نعم يا سيدى..

قال السيد :

– لماذا لم تستأذنى ؟

قال الزنجى :

– لقد كان السور القديم مهدما.. ولأنى أقيم فى البيت فقد ظننت أنى أستطيع أن أبنى له سورا جديدا..

قال السيد :

– إنك تتصرف على مسئوليتك.. إنك تتصرف كأنك رجل أبيض..

قال الزنجى :

لا يا سيدى.. كل ما هناك أنى أحب العمل.. إنى لا أستريح إلا إذا بنيت سورا جديدا ورأيت كل شىء حولى منظما..

قال السيد :

– إنك تتكلم كثيرا.. هل تعلم ماذا نصنع هنا بالزنوج الذين يتكلمون كثيرا ؟

قال الزنجى :

– لا يا سيدى.. لا أعلم ؟

قال السيد :

– إننا نعلمهم أن يسكتوا.. وأن يبقوا فى مكانهم !

قصة زنجى

وقام السيد وفتح دولابا وأخرج منه سوطا له عدة ألسنة، وفى آخر كل لسان قطعة نحاسية صفراء، ثم عاد إلى الزنجى، وهو يضرب كعب حذائه بألسنة السوط.. وقال :

– من أمر زوجتك بأن تربى فراخا فى مزرعتى ؟

قال الزنجى :

– لا أحد يا سيدى.. ولكن فى حوش البيت مكانا يتسع لتربية الفراخ.. وهم لا يكلفون شيئا، إلا أنهم ينبشون الأرض..

قال السيد :

– ومن قال لك إنى أريد الفراخ أن تنبش أرضى ؟

قال الزنجى :

– لا أحد يا سيدى..

وعاد السيد يقول :

– من أين ادخرت الدولارات التى اشتريت بها الراديو ؟

– لقد اصطدت بعض الأرانب وسلختها، وبعت فراءها..

قال السيد :

– إنى لا أريد أحدا أن يلمس الأرانب التى تعيش فى مزرعتى وهز السيد سوطه وخبط به كعب حذائه ثم استطرد :

– لماذا لا أرى لك حسابا فى مخزن المزرعة ؟

قال الزنجى :

– إنى لا أريد أن أخرج آخر الموسم مدينا يا سيدى.. و..

وقاطعه السيد صارخا :

قصة زنجى

– أنا وحدى الذى أقرر إذا كان من حقك أن تخرج مدينا أو دائنا..

واحمر وجه السيد الأبيض غضبا، وقال وهو يشير إليه بالسوط :

– اخلع قميصك وأسقط بنطلونك، واركع على الأرض فوق ركبتيك..

قال الزنجي :

– ماذا تريد أن تصنع يا سيدى ؟

قال الأبيض :

– سأريك ماذا سأصنع.. اخلع قميصك وأسقط بنطلونك..

قال الزنجي :

– إني لاأستطيع أن أتركك تضربني يا سيدى.. لا أستطيع..

وصرخ الأبيض :

– أيها الجلد الأسود.. هل تجرؤ على مجادلتى..

ورفع سوطه وهوى به على الزنجي.. ولكن كريستى استطاع أن يتجنب الضربة.. فرفع السيد السوط مرة أخرى وهو أشد غضبا، وهوى به على الزنجى.. ولكن كريستى أمسك بطرف السوط فى يده، وقبض عليه بكل قوة..

وصرخ الأبيض كالمجنون :

– اترك السوط أيها الأسود.. أيها النجس..

قال الأسود :

– إنى لم أصنع شيئا يا سيدى.. فقط أقمت سورا حول بيت لا أملكه، واصطدت أرنـبيـن، وزوجـتى تربى الفـراخ.. إنك لن تضربنى يا سيدى.

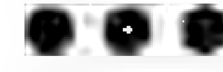
وصرخ الأبيض :

– اترك السوط.. واخلع قميصك، وأسقط بنطلونك..

ولكن الزنجى لم يترك طرف السوط، وظل قـابضا عليه بكل قواه..

وجن السيـد الأبيض.. واسـتـدار إلى الدولاب، ومد يده فـيه والتقط مسدسا، ثم واجه الزنجى، وأطلق ثلاث رصاصات.

وانفرجـت قبضـة الزنجى عن الســوط.. وهوت جثتـه على الأرض..



ودخل كاتب الحسابات وشقـيق صاحب المزرعة إلى الغرفة على صـوت طلقـات النـار، ونظرا إلى جـثـة الزنجى ورفـعـا رأسيهما إلى السيد الأبيض، فقال فى هدوء :

– لقد حـاول أن يعتدى علىّ.. لقد سـمعتمـوه وهو يهددنى بالقتل.. أليس كذلك ؟

وهز الاثنان رأسيهما موافقين..

وجاء موظفو المزرعة يتساءلون، وقال لهم السيد وهو يغسل يديه فى الحوض :

– إنه هذا الزنجى الذى جـاء إلى المزرعة منذ ثلاثة شـهور..

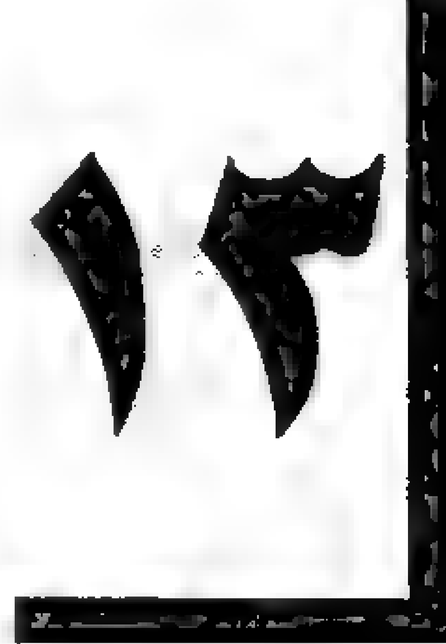
لقد ناديته لأحاسبه على عمله.. فحاول أن يعتدى عليّ، لولا أنى التقطت المسدس قبله..

وانتهى السيد من غسل يديه ثم نظر إلى شقيقه قائلا :

– افتح باب المكتب.. وضع الجثة أمام الزنوج ليعرفوا مصير من يتطاول منهم عليّ كما فعل هذا الزنجى..

وفتح الشقيق باب المكتب..

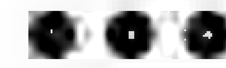
ولم يكن هناك زنجي واحد فى الطريق..



السعادة ليس لها تاريخ

إن قصصنا فى حاجـة إلى أجواء جديدة.. أجواء بعيدة، غـريبة، لا يستطيع القارىء العـادى أن ينتقل إليهـا ويعيش فـيهـا إلا بين صفحـات قصـة.. وقد عـشت فى أواسط أفريـقيـا عندمـا قرأت قـصص طرزان.. وعشت فى قصور فرنسـا الملكية عندما قرأت قصص بردليان والفرسـان الثلاثة.. وعشت فى مجتمـعات لندن عندما قرأت قصص أوسكار وايلد، وأرسين لوبين !

وفى هذا الأسبوع عشت فى جزيرة صغيرة من جزر المحيط البـاسفيكى، وأنا أقرأ قصة لسومرست موم..و عنوان القصة « ريد ».. وهو اسم البطل !



ألقت السفيـنة مرساها فى البوغاز الهـادى.. ووقف القبطان ينظر إلى شاطىء الجزيرة وبين شـفتيه ابتسامـة صغيرة.. إن

أشجار جوز الهند تصل حتى شاطىء المحيط وتطل فى المياه كأنها تنظر إلى خيالها فى مرآة.. وتنتشر كأنها فرقة من الراقصات العوانس.. يبدو عليها كبر السن ولكنها لا تزال تحتفظ بعذريتها وخفرها.. والتفت القبطان إلى رجاله قائلا :

– سنحمل بعض زجاجات الخمر، وننزل إلى الشاطىء.. إن فى هذه الجزيرة كثيرا من النساء !

ولم ينتظر القبطان رجاله، بل سبقهم، واستقل قاربا صغيرا حمله إلى الشاطىء.. وسار تحت ظلال الشجر.. ظلال لها أنوار هادئة زرقاء وصفراء وحمراء.. ثم وصل إلى خليج ضيق يشق الجزيرة، ورأى على شاطئه الآخر بيتا صغيرا.. وفوق الخليج جسر يصل بين شاطئيه.. إنه جسر عجيب، عبارة عن جذع واحد من شجر جوز الهند.. أملس مستدير.. مربوط فى جذع آخر.. وثالث ورابع.. حتى يصل الجذع العاشر إلى الشاطىء الآخر للخليج.. وتردد القبطان فى عبور الجسر.. ولكنه تشجع، وأقدم وما كاد يسير فوق جذع شجرة جوز الهند عدة خطوات، حتى عاد سريعا، وجلس على الأرض، وخلع حذاءه، ثم قام ممسكا بحذائه فى يده، وبدأ يعبر الجسر من جديد..

وكان مرتبكا، كأنه يسير على حبل، فلم يلحظ أن على الشاطىء الآخر عينين ساخرتين تنظران إليه، وعندما عبر الجسر فوجىء بصوت يخاطبه :

– إن عبور هذا الجسر يحتاج إلى أعصاب قوية.. وقد كنت

أنتظر أن أراك تقع فى الخليج بين كل لحظة وأخرى..

وقال القبطان وهو يلتقط أنفاسه :

– هل أنت نيلسون ؟

وقال الرجل وبين شفتيه ابتسامة ساخرة :

– نعم.. أنا !

ونظر القبطان إليه كأنه يبحث فيه عن شىء.. إنه رجل رفيع عيناه واسعتان، وله ذقن صغيرة مدببة شعراتها بيضاء.. ويبدو هادئا، ولكن فيه شىء عصبى يدفعه أحيانا إلى الكلام الكثير..

وقال القبطان :

– لقد سمعت أنك تعيش فى هذه الجزيرة منذ مدة طويلة..

وقال نيلسون :

– نعم.. منذ خمس وعشرين سنة..

وصحب نيلسون القبطان إلى داخل البيت.. وأدار القبطان عينيه فى دهشة.. لقد وجد نفسه كأنه فى مخزن كتب.. الكتب تغطى كل الجدران.. وقال :

– إنك تملك كتبا كثيرة.. كثيرة جدا !

وقال نيلسون ساخرا :

– إنها لا تؤذى !

ثم قدم لضيفه كأسا من الويسكى، وهو يتمعن فيه.. إنه رجل طويل، ضخم الجثة.. ووجهه أحمر محتقن.. وفوق خديه شبكة من العروق الزرقاء الرفيعة.. وملامح وجهه غاصت فى

كتلة من الشحم حتى لم يعد يبدو منها شيء وشعره أبيض طويل ومجعد تركه ينسدل على قفاه المكون من عدة طيات من اللحم، وجبهته عالية تعطى مظهرا كاذبا من الذكاء، ولكن من السهل أن تكتشف غباءه.. غباءه الشديد..

وسأل نيلسون نفسه : ترى كيف كان شكل هذا الإنسان عندما كان شابا ؟! وخيل إليه أن هذا الإنسان لم يكن شابا أبدا.. إنه ولد هكذا سمينا غبيا..

وقال القبطان وقد انتهى من كأس الويسكى فى جرعتين :

– إنك تملك بيتا جميلا..

وقال نيلسون :

– إن هذا البيت لم يكن موجودا عندما جئت إلى هذه الجزيرة.. كانت مكانه عشة من عشش الأهالى، تظللها شجرة، ذات ورود حمراء، وتحيط بها شجيرات أطرافها مطرزة بلون الذهب، وشجر جوز الهند يحنو فوقها كأنه يحرسها.. ونظرت إلى العشة وإلى هذا المكان لأول مرة، وأحسست أنى وجدت الجنة.. ثم عرفت أن كل هذا الجمال ليس جمال الطبيعة وحدها.. إنه جمال الحب.. لقد عاش الحب فى هذا المكان فترة ما.. والحب يترك وراءه فى المكان الذى يعيش فيه، شيئا لا يموت.. شيئا كرائحة العطر.. شيئا كغلالة من السحر..

ولم يتأثر القبطان بكلام نيلسون، وإنما بدا كأنما يسخر من كلامه.. واغتاظ نيلسون من برود ضيفه، وجموده، وعاد يتمعن

فيه، ثم قال فى اشمئزاز :

– يخيل إلى أنى عرفتك من قبل !

وقال القبطان وهو يجرع الكأس :

– لا أذكر أنى سبقت لى معرفتك.. إن آخر مرة جئت فيها إلى هذا الجزيرة كانت منذ ثلاثين عاما..

وصاح نيلسون :

– ثلاثين عاما !! هل عرفت هنا رجلا اسمه ريد !

وقال القبطان بلا مبالاة :

– ريد !!

وقال نيلسون :

هذا كل ما أعرفه عن اسمه.. ولكنى أعرف كل شىء عنه رغم أنى لم أره.. كان شابا فى العشرين من عمره.. وكان أجمل رجل خلقه الله.. كان جماله يخلع القلب.. طويل.. بشرته بيضاء ناعمة.. وعينا زرقاوان زرقة داكنة تبدو كالسواد.. وشفتاه حمراوان كشفتى فتاة جميلة.. طويل.. طويل.. متسق الجسد.. كأحد آلهة الرومان.. وكان شعره مجعدا طويلا أحمر اللون.. وكان بحارا مجندا، ثم هرب من المركب الذى يعمل فيه وجاء مختفيا إلى هذه الجزيرة.. وكانت على الشاطىء عشة لأحد الأهالى، وقف أمامها ريد، وهو تائه لا يدرى أين يذهب.. وفجأة خرجت إليه فتاة جميلة.. جميلة.. سمراء فى لون الغروب. شعرها مجعد طويل ينسدل فوق كتفيها كوشاح من

الليل.. وحول وسطها ثوب من أليـاف الشجر العطرة.. وعيناها واسعتان كبحيرتيـن هادئتين.. إنها جميلة.. أجمل من الكلمات.. ونظرت إليه ولم يتكلم.. ولكنه رأى فى عينيها الحب..

وسكت نيلسون ريثما تنهد ثم استطرد :

– لقـد جـمع الحب ريد والفـتـاة مـن أول نظرة.. حب نقى بسيط.. الحب الذى أحس به آدم وحواء عند بدء الخليقة.. الحب الذى يجـذب الحـيوان إلى الحـيـوان، والملاك إلى الملاك.. الحب الذى يعطى الدنيـا حكمة الخلود.. كانا طفلـين أنجبهـما الحب.. كانت رقـيقة طيبـة.. وهو.. كانت روحه جمـيلة كجسده جـمالا فطريا.. روح رجل الغـاب عندما خلقت الدنيـا.. وروح الإنسان هى أتعب مـا يملكه الإنسان، ولكنه عندمـا يحاول أن يروضـها فكأنه يحاول أن يخرج من الجنة.. وقد عاش ريد فى الجنة لأنه لم يحاول أن يروض روحه..

وأقام ريد مع سالى – وهو الاسم الذى أطلقـه على الفتاة – فى العشة التى يملكها.. ثم انتقلا إلى هذا المكان.. هنا أقاما عشة صغيرة لم يكن فيها إلا أشـياء تافهة من الأدوات المنزلية، وكان فيـها الحب.. وكانا ينامان على الأرض.. ويسـتحمان فى مـياه الخليج فى ضوء القـمر.. ويخـرجان للصيـد.. ويضحكان.. ولا يتكلمان كـثيـرا.. والناس السعداء ليس لهـم تاريخ.. إن التاريخ يســجل الشـقاء والألم.. أمـا السـعـادة فلا يـهتم بهـا التـاريخ..

والسعادة هى الحب.. ولم يكون لريد وسالى تاريخ لأنهما سعداء..

إلى أن كان يوم.. وجاء مركب إلى الجزيرة، وفرح ريد، لأنه يستطيع أن يأخذ من بحارة المركب بعض الدخان نظير بعض ثمار جوز الهند والفاكهة.. وملأ قاربه بالثمار وصعد إلى ظهر المركب.. ونظر القبطان إلى جسده القوى، وعرض عليه أن ينضم إلى بحارة المركب.. وكانت المراكب كلها فى تلك الأيام تشكو من قلة البحارة.. ولكن ريد رفض العرض فلم يعترض القبطان، ولكنه دعا ريد إلى كأس من الخمر.. ثم كأس أخرى.. وثالثة.. و.. وأفرط ريد فى الشرب إلى أن فقد وعيه وأقلع المركب، وهو على ظهره..

ولم تعد سالى ترى ريد..

فقدته..

ولكنها عاشت فى انتظاره.. إن الحياة لم يعد لها معنى إلا انتظار حبيبها.. إنها تجلس طول النهار تحت شجرة جوز الهند تنظر إلى البحر لعله يعود.. وتنسحب فى الليل لتجلس بجوار العشة تنظر إلى الجسر لعله يعبره إليها.. وحاول أهلها أن يقنعوها بأن تعود لتقيم معهم ولكنها رفضت.. وأصرت على الرفض.. إنها تنتظره كل دقيقة من عمرها.

ولم يعد ريد..

وسكت نيلسون عن الكلام. وقد امتقع وجهه كأنه وضع

عليه نقابا من الألم.. وقال القبطان متعجلا :

– وماذا حدث للفتاة بعد ذلك ؟

قال نيلسون وهو يتنهد :

– بعد ثلاث سنوات، عاشت مع رجل أوربى آخر..

وقال القبطان ساخرا :

– هذا شأن جميع النساء !!

ونظر نيلسون إلى الجثة الضخمة الجالسة أمامه فى غيظ.. هل يمكن أن يفهم مثل هذا الرجل معنى الحب.. هل يمكن أن يكون له قلب يستوعب قصة من قصص الحب.. ورغم ذلك فقد شعر نيلسون أنه منساق وراء ذكرياته.. واستطرد بقية القصة.. قصته هو..

لقد جاء إلى الجزيرة مريضا.. كان الأطباء قد أجمعوا على أنه سيموت بعد عام واحد.. وقد جاء إلى الجزيرة ليقضى هذا العام فى هدوء.. ورأى العشة التى تقيم فيها سالى، فانخلع قلبه لجمال الطبيعة حولها.. ثم سمع القصة.. قصة سالى وريد.. فتأثر بها إلى حد أن أصبح يعيش فيها.. ثم رأى سالى نفسها فأحبها.. أحب جمالها الفطرى.. إنه جمال فارغ ليس فيه شىء.. ليس فيه عقل متمدن.. ورغم ذلك فهو جمال أخاذ، كأنه جمال الله.. جمال الشجر والورود، جمال الإنسانية كلها.. وتقدم إلى سالى يعرض عليها أن تعيش معه، ولكنها رفضت..

وكانت صحته قد بدأت تتحسن، ومع تحسنها بدأ يسترد

كل حيويته.. وكل رجـولته.. وأصبحت سالى بالنسبـة له شيئا يريده.. شيئـا لا يستطيع أن يعيش بغيره.. فـوسَّط أهلها لديها.. ولكنهـا رفضـت.. إنها لا تزال تنتظـر ريد.. ولكن السنوات تمر وريد لا يعود، وأهلهـا يلحون عليـها أن تقبل عـرض نيلسـون.. وزاد نيلسـون فى عرضـه.. إنه سيتزوجها !

وتحت الضغط، والإلحاح، والسأم، قبلت سالى أن تتزوجه.. وهدم العشـة التى كانت تقيم فـيها مع ريد، وأقـام مكانها هذا البـيت الأوربى.. ونعم بما أعـطتـه له ســالى فى الأيام الأولى.. ولكنه أفاق إلى أن روحـها ليست معه.. إن روحـها لا تزال مع ريد.. إنه واثق من أن ريد لو ظهـر فى أية لحظة فـسـيأخـذها منه.. ستـذهب إليه قبل أن يشـير لها بأصبـعه.. وبدأ يجن.. إن سالى تعطيه، ولكنها تعطيـه فى برود.. مجرد طاعة.. وحاول أن يتـوسل إلى قلبهـا.. ولكنه يئس.. حتى خـيل إليه أن ليس لـها قلب.. وحاول أن يهـملها ولكنها لم تكن تحس بإهمـاله لها.. إن جسدها فى البيت لكن روحها هائمة فى المحيط تبحث عن ريد.. ولا تزال تلقى عينيهـا على الجسر لعلها ترى ريد يعـود إليها.. وبدأ يحس أن حـبه لسـالى هو سجن ضـيق يكتم أنفـاسه ولا يستطيع أن يفـر منه.. وأخيرا يئس من الفـرار.. ومرت السنون والنار فى قلبه يأكل بعـضها بعضا حتـى انطفأت.. لم يعد يحب.. ولم يعد يكره.. وسالى لا تزال فى البيت، وكل ما يربطه بها هو العـادة.. عادة وجودها بـجانبه.. إنـه يقرأ كثـيرا، ويعـزف على

البيانو الذى أرسل فى شرائه..

واستطرد نيلسون فى ذكرياته، ثم قال :

- أعتقد أن من فضل الله على ريد وسالى أنهما افترقا وهما فى أوج ذروة الحب.. لقد تعذبا كثيرا.. ولكنه عذاب جميل.. والعذاب الذى يتخلف بعد موت الحب، هو عذاب ليس فيه جمال.. إنه عذاب الفراغ..

وفجأة رفع نيلسون رأسه، وكأنه خطر له خاطر غريب.. ونظر إلى ضيفه بعينين ضيقتين، وخيل إليه أنه يرى أمامه شابا جميلا، كأنه أحد آلهة الرومان.. ثم قال فى صوت أجش :

- إنك لم تقل لى اسمك !

وقال القبطان وهو يضحك، وكتل الشحم تهتز فوق صدره:

- منذ ثلاثين عاما، كانوا يسموننى فى هذه الجزيرة ريد !!

واتسعت عينا نيلسون..

ودخلت امرأة من الوطنيين.. عجوز.. تبدو أكبر من سنها.. وأهالى القرية يبدو عليهم الكبر بسرعة.. وشعرها أبيض.. واتجهت إلى نيلسون وحادثته فى بعض الشئون المنزلية، ثم التفتت إلى الضيف لفتة سريعة، وخرجت دون أن يبدو عليها الاهتمام..

وقام الضيف مستأذنا، وقال نيلسون :

- أرجو أن تبقى لتتناول الطعام معنا !

قال القبطان فى هدوء دون أن يبدو عليه تأثر :

- آسف ورائى أشغال..

وخرج..

وجاءت سالى تسأل زوجها :

- من هذا ؟

قال نيلسون وهو يخفى عينيه :

- إنه قبطان أحد المراكب التى رست على الشاطىء أمس.. كنا نتحدث فى بعض الأعمال.

الفهرس

الأعمال الكاملة للكاتب إحسان عبد القدوس

١	التجربة الأولى
٢	منتهى الحب
٣	شفتاه
٤	آسف لم أعد أستطيع
٥	يا ابنتى لا تحيرينى معك
٦	لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص
٧	حتى لا يطير الدخان
٨	زوجات ضائعات
٩	الرصاصة لا تزال فى جيبى
١٠	البحث عن ثورة
١١	ومضت أيام اللؤلؤ
١٢	فى وادى الغلابة
١٣	خواطر سياسية
١٤	بعيداً عن الأرض
١٥	علبة من صفيح
١٦	الطريق المسدود
١٧	زوجة أحمد
١٨	لا ليس جسدك
١٩	لا شىء يهم
٢٠	لا تطفىء الشمس ج.١
٢١	لا تطفىء الشمس ج.٢
٢٢	فى بيتنا رجل
٢٣	النظارة السوداء
٢٤	صانع الحب
٢٥	بائع الحب
٢٦	أين عمرى
٢٧	بئر الحرمان
٢٨	الخيط الرفيع
٢٩	عقلى وقلبى
٣٠	على مقهى فى الشارع السياسى
٣١	السعادة ليس لها تاريخ
٣٢	حالة الدكتور حسن
٣٣	لم يكن أبداً لها
٣٤	لا تتركونى هنا وحدى
٣٥	اللون الآخر
٣٦	يا عزيزى كلنا لصوص
٣٧	البنات والصيف
٣٨	لا أنام
٣٩	أنا حرة
٤٠	شىء فى صدرى
٤١	أنف وثلاث عيون ج.١
٤٢	أنف وثلاث عيون ج.٢
٤٣	لن أعيش فى جلباب أبى
٤٤	سيدة فى خدمتك
٤٥	النساء لهن أسنان بيضاء
٤٦	دمى ودموعى وابتسامتى
٤٧	الحياة فوق الضباب
٤٨	وعاشت بين أصابعه
٤٩	وغابت الشمس ولم يظهر القمر
٥٠	قلبى ليس فى جيبى
٥١	كانت صعبة ومغرورة
٥٢	فوق الحلال والحرام
٥٣	وكر الوطاويط
٥٤	لن أترك كل هذا
٥٥	ونسيت أنى امرأة
٥٦	بنت السلطان
٥٧	وتاهت بعد العمر الطويل
٥٨	الهزيمة كان اسمها فاطمة
٥٩	الراقصة والسياسى
٦٠	الحب في رحاب الله
٦١	الوسادة الخالية
٦٢	العذراء والشعر الأبيض
٦٣	رائحة الورد وأنوف لا تشم
٦٤	أيام شبابي
٦٥	ثقوب فى الثوب الأبيض
٦٦	تاريخ أحد اللصوص